تأثير "الفيس بوك"على الثقافة السياسية والإجتماعية للشباب

أعداد

د. على ليلة

أستاذ النظرية الإجتماعية

جامعة عين شمس

*** عرضت تلك الورقة في مؤتمر الفيس بوك والشباب في يوليو 2009**

مقدمة

وقعت تغيرات كونية جذرية وشاملة فى الثلث الأخير من القرن العشرين والعقد الأول من الألفية الثالثة، فرضت علينا واقعاً إجتماعياً وثقافياً جديداً وليس نطاقا عالميا جديداً فقط. حيث خضعت الثوابت لتغيرات زلزلت قواعدة، إذ تجلت هذه التغيرات من خلال مظاهر عديدة، فقد حدث تحول من الحداثة إلى ما بعد الحداثه. من الحديث عن النسق المتوازن الذى يسعى إلى الإكتمال بإتجاه الحديث عن التفكيك والوحدة الكامنة فى التنوع. وبدلاً من الحديث عن العالم المتخلف والنامى الذى يسعى من خلال التحديث إلى إكتساب خصائص الغرب المتقدم، إنطلقت العولمة من الغرب، متعجله تسعى إلى إعادة صياغة عالم بأسره. وبعد أن كانت الدولة القومية قاطرة تحديث مجتمعاتها، تراجعت لتلعب دور المنظم لآليات جديدة لتحديث المجتمعات ضمت القطاع الخاص الأجنبى والوطنى. إضافة إلى المجتمع المدنى الذى بدأ دوره فى التزايد. ومع تراجع الدولة وتقدم جحافل العولمة سقطت الحدود التى تشكل احد أبعاد الدولة والهوية القومية. وأصبحت الفضاءات الثقافية والإقتصادية والسياسية مفتوحة لتدفق تأثيرات العولمة التى إتجهت إلى إعادة صياغة كل شئ بحسب طبيعتها.

وحتى تحقق العولمة أهدافها وأهمها صياغة تجانس عالمى على قاعدة طبيعتها، فقد إمتلكت آليات كثيرة أبرزها التطور الحاسم لتكنولوجيا الإعلام والمعلومات، التى شكلت أبرز آليات التدفق والإختراق. والتى بدأت تنقل مضامين ثقافية ومادية عديدة إلى مجتمعاتنا، حيث كثر الحديث عن التنمية المستدامة التى يشارك فى تجسيدها الجماهير بدلاً من التنمية التى شكلت إختياراً محدداً برؤية النخبة. يضاف إلى ذلك فقد أمتلأت فضاءات المجتمعات المتخلفة والنامية بشعارات الديموقراطية وحقوق الإنسان وحقوق الأقليات، وإدارة الحكم الرشيد. حيث إستنفرت هذه الشعارات عواطف الجماهير التى خضعت لسيطرة قهرية من قبل نظم أبوية، أخذت من الأبوية الهيمنة، ولم تنقل الرحمة. وإذا كانت هذه الشعارات قد شكلت ضغوطا على نظم المجتمعات المتخلفة غير أنها فى ذات الوقت أيقظت عواطف وأشواق الجماهير بإتجاه المشاركة والتنمية

وحرية التعبير والحياة بلا خوف. سواء الخوف من العجز عن إشباع الحاجات الأساسية أو الخوف من الإنسحاق تحت سنابك خيل الأمن.

ونتيجة لذلك تفجرت صراعات وإحتجاجات على ساحات غالبية مجتمعات العالم الثالث تعبيراً عن عواطف وتوترات مكتومة بين الجماهير من ناحية، والنظم السياسية من ناحية ثانية. النظم السياسية متمترسة وراء عنادها وأبويتها المتهالكة، وإمتلاكها لآليات القوة القاهرة، التى بواسطتها تفرض إرادتها ورؤيتها على المجتمع. وأضافت إلى قهرها الأمنى تجملها المخادع أمام العالم بأنها مع الحرية والديموقراطية والمشاركة، فى مقابل الجماهير العربية التى تدرك أن العالم من حولها ينتفض ويتمرد، وتفرض جماهيره الحرية، وتتمنى أن يستنفر ذلك طموحاتها لتسير على دربها. بيد أن هذه الجماهير تدرك أن أنظمتها السياسية نجحت فى دفعها إلى الإهتمام بقضايا الحياة اليومية الصغيرة فى مقابل تخليها عن القضايا والأحلام الكبيرة. ساعد على ذلك حجم الحرمان وتردى نوعية الحياة التى تعيشها الجماهير، إضافة إلى فاعلية العصا الأمنية إذا إستردت بعض هذه الجماهير بعض وعيها وآثرت التحرك.

وإذا كان الشباب هم دائماً القطاع السكانى المخفف القيود مقارنة بالكبار، وإذا كانوا هم الذين يعانون بدرجة أكثر من عدم إشباع حاجاتهم الأساسية. وإذا كانوا هم الأكثر قدرة على التعامل مع مستحدثات العولمة، ولأنهم الأفضل من حيث ظروف نوعية حياتهم – لانتماء غالبيتهم للطبقة العليا والشرائح العليا من الطبقة المتوسطة – مقارنة ببقية الشرائح الشبابية الأخرى، فقد قررت النضال الناعم أو المخملى. فقد أدركت أن نظمها السياسية أصبحت مخادعة، وأن عصاها الأمنية أضحت قاسية وماكرة، والجماهير غارقة حتى أذنيها فى تفاصيل الحياة اليومية تسعى تكد طيله يومها لتحصل على ما يحافظ على مجرد البقاء، فليست لديها المساحة الكافية ولا حتى الوعى لتأمل القضايا أو الأحلام الكبيرة.

على هذه الخلفية تحددت مهمة الشباب المتفاعل فى إطار المجتمع الإفتراضى وأبرزها شباب "الفيس بوك"، الذين أدركوا أن الواقع لا يشبع غالب إحتياجاتهم، إبتداء من الحاجة إلى حرية التعبير وحتى الحاجة إلى الجنس. ومن ثم فقد تدفقوا إلى المجتمع الإفتراضى، إتخذوا من صفحات "الفيس بوك" منبراً للنقد السياسى والإجتماعى والثقافى

لكل ما هو واقعى. يسعون من وراء ذلك إلى إيقاظ وإستنفار وعى الجماهير، وفى ذات الوقت إضعاف الأنظمة السياسية التى تشكل عقبة كؤود أمام دوران عجلة التحديث والتغيير. لقد هربوا من المجتمع الواقعى إلى المجتمع الإفتراضى، ليتخذوا من آلياتة منابر لنقد المجتمع الواقعى بكل تكويناته، فى محاولة لتغييره. غير أننا نعتقد أن حركتهم ودعواتهم إلى الأحتجاج والتظاهر، وإن أفزعت الأنظمة السياسية الضعيفة، غير أنها غير قادرة لفرض إنهيارها. وذلك لأسباب عديدة منها أن تمردهم شامل وغير مركز الهدف، ويستنفر ضدهم جبهات عديدة، إبتداء من النظام السياسى حينما يعايرونة بعجزة، ويطالبون بضرورة إزاحته. وحتى المجتمع الذى يتناقضون مع تراثه وأخلاقة حينما يطالبون بحرية الجنس وإباحة الشذوذ. ولذلك فإنهم وإن كانوا قادرين على إستنفار الوعى ببعض القضايا، غير أننا لا يمكن أن نعتبرهم قوة قادرة على التغيير إنهم أطفال الثورة الصغار حسب تعبير جيرجون هابيرماس.

المحتويات

مقدمة
أولاً: الفيس بوك، بعض الحقائق الأساسية.
ثانياً: إعتبارات أساسية حول شباب "الفيس بوك".
ثالثاً: حراك الشباب من السياق الواقعى إلى المجتمع الإفتراضى.
رابعاً: تحولات المجال العام فى المجتمع الإفتراضى.
خامساً: القيم الثقافية والسياسية لشباب "الفيس بوك".
المراجـع

أولاً: الفيس بوك، بعض الحقائق الأساسية

يعد "الفيس بوك" أحد مكونات شبكة المعلومات الدولية، إضافة إلى أنه يشكل قطاع متيز، له طبيعته الخاصة فى المجتمع الإفتراضى، الذى أصبح له وجوده المؤثر، على تفاعلات المجتمع الواقعى الذى نعيش فيه. ويحاول البعض تعريفه بإعتباره مدونة أو صفحة شخصية على شبكة المعلومات. يناقش فيه صاحب الصفحة أصدقاءه ويتكلم معهم ويتبادل معهم الصور والفيديو والصوتيات (1)، وهو ما يعنى أن الفيس بوك فى أساسة موقع ألكترونى، يتضمن شبكة إجتماعية تساعد الأفراد على الإتصال بأصدقائهم وعائلاتهم، وأصدقاء العمل بفاعلية عبر شبكة المعلومات. ويشير أسم الموقع إلى ورقة التعريف Facebook التى تمنح للطلاب الوافدين إلى الحرم الجامعى فى الولايات المتحدة، والمدارس والكليات ليتعارف كل منهم على الآخر (2). وقد أسس الموقع "مارك جوكربرج" الطالب بجامعة "هارفارد" لتسهيل عملية التواصل بين طلبة الجامعة، بإنشاء موقع يمكنهم من تبادل أخبارهم وصورهم وآرائهم.

وقد أنشئ هذا الموقع فى 2004 (3) وأصبح الموقع الإجتماعى الأشهر على شبكة المعلومات فى مصر والمجتمعات العربية، ومما يدل على أهمية هذا الموقع أنه تجاوز موقع "ماى سبس "My Space" من حيث عدد المشتركين فى الولايات المتحدة، الذين بلغوا نحو 80 مليون مشترك أو أكثر قليلاً، وبذلك يعد موقع "الفيس بوك" هو الأشهر والأهم عالميا، حيث يبلغ عدد المشتركين فى الموقع نحو 200 مليون على الصعيد العالمى (4). ويجتذب الموقع الأمريكيين بالدرجة الأولى وتصل نسبة الأمريكيين الملتحقين بالموقع نحو 38% من زوار الموقع. وتأتى المرتبة الثانية كندا، ثم تاتى المملكة المتحدة فى المرتبة الثالثة، حيث يصل عدد الذين ينتمون إليها نحو 3,5 مليون بريطانى، وتأتى مصر فى المرتبة الرابعة. حيث يصل عدد زوار الموقع من المصريين نحو 2,5% مليون زائر وبذلك يشكل المصريون 1,25% من زوار الموقع.

ويدخل إلى موقع "الفيس بوك" يوميا نحو 150 ألف زائر، وقد بدأ الموقع فى مصر بداية متواضعه، ولم يكن عليه إقبال كبير فى البداية، حيث تشكلت جماعات عديدة حول موضوعات متنوعة يلتقى الشباب حولها. ويدور بشأنها حوار ونقاش كبير حول قضايا تتصل بآداء الدولة والنظام السياسى. حتى أصبحت هذه الصفحة موقع رفض

من قبل المراقبين لآداء هذا الموقع لأسباب ذات طبيعة سياسية فى مضمونها. وهناك بعض الدول التى قاطعت موقع الفيس بوك كلية، حتى وصل الأمر إلى حد منع إستخدامه فى مجتمعات مثل سوريا وإيران لأسباب سياسية (5) وأن أدعى أن المنع كان لأسباب إجتماعية. وهو ما يعد شهادة على فعالية الموقع ودرجة تأثيرة على تفاعلات المجتمع الواقعى، والأنظمة السياسية المهيمنة عليه.

ويشير تأمل موقع "الفيس بوك" من حيث فاعليتة والحوارات التى تدور حوله إلى تميزه ببعض الحقائق الأساسية. حيث تتمثل الحقيقة الأولى بهذا الصدد، فى أنه على الرغم من الإنتشار الواسع لتكنولوجيا شبكة المعلومات الدولية. فإن موقع "الفيس بوك" يعد أحد قطاعاتها، غير أنه يتميز على المواقع الأخرى فى بعض الجوانب، أبرزها أنه يسمح بالتحكم فمن يمكنه رؤية المعلومات الشخصية المتاحة. إذ يمكن لصاحب الصفحة، وضع قيود على بعض الأنشطة، بحيث يراها مجموعة الأصدقاء الذين يختارهم فقط، بالإضافة إلى إمكانية رفض مصادقة أى شخص بسهولة. فموقع "الفيس بوك" لا يسمح لأى شخص أن يتصفح أخبار الآخرين، إلا إذا كان من الأصدقاء المشتركين أو الذين ينتمون لنفس الشبكة. التى لا يمكن الإشتراك بها إلا عن طريق E-mail معين خاص بهذه الشبكة. ويعكس ذلك مدى حرص "الفيس بوك" على حماية خصوصية أعضائه، وبذلك شكل هذا الموقع نقله فى عالم شبكات المعلومات (6).

وتتصل الحقيقة الثانية بتميز موقع "الفيس بوك" بعدة خصائص أساسية، من هذه الخصائص "خاصية الدوام" وهى يعنى بقاء المعلومات المتعلقة "بصفحة" الشخص لفترة طويلة قد تصل إلى ستة شهور. وذلك على عكس الحديث أو المعلومات المؤقتة التى تتدفق من خلال الوسائط الإتصالية عموما، والتى ينتهى وجودها بمجرد الفراغ منها. فى هذا الإطار فإننا نجد أن هذه المعلومات تسجل من أجل الإستخدامات المستقبلية، بحيث ييسر ذلك تحقيق الإتصال غير المتزامن. كما أنه يشكل إطارا لأنطلاق الحديث فى أى وقت آخر، فيما يتعلق بذات الموضوع. ذلك يعنى أن الأحاديث والتعليقات المتبادلة والمسجلة على الموقع، يمكن الرجوع إليها بعد دقائق او أيام أو حتى شهور من تسجيلها. وفى ذلك فهى تختلف عن المحادثات العادية بين الأفراد والتى تحدث فى نطاق الإجتماعات والتفاعلات الحياتية. ذلك يرجع إلى أن الكلمات التى يتبادلها الأفراد

تكون عادة لحظية وغير مسجلة، ولا يستطيع الفرد إسترجاعها بعد اللحظة التى قيلت فيها (7). ومن شأن هذه الحقيقة أن تجعل التفاعل على شبكة المعلومات أكثر كثافة مقارنة بالتفاعل الواقعى، وذلك لأن بعد الماضى يسقط من بنية التفاعل، الأمر الذى ييسر إمكانية إعادة التفاعل مع بعض هذه المضامين وإعادة تأملها وإحياء بعض جوانبها. وفى هذا الإطار فإنه إذا كان زمان أى تفاعل ينقسم إلى ثلاثة مراحل الماضى والحاضر والمستقبل. فإن هذه المراحل توجد فى معية واحدة ويسقط التمييز بينها بالنسبة للتفاعل الإفتراضى، فى مقابل أن بعد الماضى هو الذى يسقط من التفاعل الواقعى، الأمر الذى يشير إلى كثافة أعلى فى التفاعل الحادث بين شباب شبكة المعلومات، مقارنة بالتفاعل الواقعى.

وتشير الحقيقة الثالثة إلى تميز التفاعل الحادث على ساحة شبكة المعلومات، وبخاصة على موقع "الفيس بوك" بالقدرة على العزل والتصنيف، وذلك يرجع إلى أن البيانات المتعلقة بالهوية مسجلة فى صفحة المشارك كنص. وإذا كان التفاعل الواقعى يحدث بصورة عشوائية أحيانا وتلقائية ولا إرادية احيانا أخرى، الأمر الذى قد يتسبب هدر واضح للتفاعل. فإن أدوات البحث والإكتشاف فى "الفيس بوك" تساعد الناس على العثور إراديا على العقليات المشابهة التى لها وجود رقمى، أو بينها إتصال مباشر على شبكة المعلومات، وهو الأمر الذى يتحقق بمجرد إجراء عدة ضغوطات على لوحة المفاتيح (8). بحيث يعد ذلك مقدمة لتشكيل جماعات أكثر تجانساً تكون قادرة على تطوير ثقافة محددة، وربما أهداف محددة، بل ويساعد تفاعلها المتجانس إلى إستكمال هوية أعضاءها بصورة واضحة. ويدخل فى هذا الإطار بعد الإرادية، بمعنى أن تشكيل الجماعات يكون عادة محكوماً بالمرجعية التى أصبحت متقاربة، إستناداً إلى البيانات التى وردت فى "صفحات الأعضاء". كما يرفع ذلك من مستوى العقلانية، لأن الإنتقاء يكون رشيدا فى هذه الحالة، فالجماعة التى تهتم بمناقشة القضايا السياسية، من غير المعقول أن تضم أعضاء يمارسون "السخرية" أو إطلاق "النكات".

وتذهب الحقيقة الرابعة إلى إمكانية النسخ المتكرر للأفكار التى طرحت على ساحة التفاعل الحادث على الموقع إنطلاقا من أى صفحة من صفحاته. ويعنى ذلك أنه يصبح من السهل نسخ صورة أو تعليق أو مقال من أحد الصفحات، ونقلة لصفحة أخرى

بـدون تغييـر أى مـن ملامحـه، وبالتـالى فـإن فرصـة عـدم الدقـة فـى النقـل أو إنتشـار الشائعات أو النقل الخاطئ تقل كثيراً (9). وهو ما يعنى القدرة على الإحتفاظ بالنص كنواة صلبة، يمكن أن يلعب دوره بصورة دائمة، وبنفس الطاقة تقريبا فى إتجاه إستنفار تفاعل كل من يطلع عليه. بحيث يكون التفاعل مع النص عادة فى طبيعته الصحيحة وغير المحرفة، ومن ثم تظل له دائماً قدرة إنتاج ذات التفاعل.

وتؤكد الحقيقة الخامسة على وجود الجمهور غير المرئى، وهى حقيقة ينبغى التنبية إليها، وهى فى ذلك تختلف عن التفاعل الواقعى، الذى يقع عندما يتحدث الفرد إلى صديق أو زميل فى الحياة اليومية. حيث يكون من السهل فى الغالب معرفة من بإستطاعته إدراك أو سماع المحادثة الجارية، وفى هذا الإطار يلعب الزمان والمكان دوراً فعالاً. غير أن هذا الأمر يختلف بالنسبة لما يقع على شبكات المعلومات، إذ أنه بإمكان أى شخص الدخول على الموقع وقراءة أو "سماع" المحادثة المسجلة فى أى وقت، وبدون علم أطراف المحادثة – وإن وضع موقع "الفيس بوك" بعض التحديدات على ذلك – يسهل ذلك الخواص السابقة، التى أشرنا إليها وهى "الدوام وقابلية البحث، وإمكانية التكرار، والجمهور غير المرئى". حيث يمكن البحث عن المحادثة، كما يمكن نقلها من موقع إلى آخر، وبالتالى زيادة إنتشارها بدون علم أطراف المحادثة. وعلى الرغم من ذلك فإن معظم مشتركى المواقع والشبكات الإجتماعية يدخلون عليها للمحافظة على صداقات موجودة بالفعل فى حياتهم اليومية. ولتسهيل الإتصال بهؤلاء الأصدقاء، فإن الشخصيات والمحادثات تظل موجودة ومسجلة لآلاف أو لملايين أخرى من البشر، الذين يستطيعون رؤيتها فى أى وقت ومن أى مكان (10) ومن ثم يكون بإمكانهم التفاعل معها.

وتشير الحقيقة السادسة إلى أن الصفحات الشخصية Profile المتاحة على موقع "الفيس بوك" تساعد على تحقيق التفاعل الإجتماعى المستند إلى قاعدة التباين – التكامل. إذ يساعد التفاعل من ناحية فى تاسيس مجموعات متجانسة من حيث إهتماماتها، لأن البيانات المتاحة على الصفحة تساعد على تحقيق التواصل بين الأفراد الأعضاء معاً. ومن ثم تقوم الصداقة بين الأعضاء المتشابهين فى الصفات والهويات والأفكار. وعلى هذا النحو يساعد مثل هذا الوضع فى تشكيل مجموعات متجانسة من

الداخل حول إهتمام مشترك، وأن تباينت مع الجماعات الأخرى. وفى هذا الإطار تتبلور جماعات حول قضايا محددة كقضايا السياسة أو الجنس أو الدين، أو الموقف من بعض الظواهر الإجتماعية. أو حتى من بعض القضايا "التافهة" إذا نظرنا إليها من مرجعية المجتمع الواقعى، وإن كانت تشبع حاجة لدى الشباب. بحيث تشكل هذه الجماعات المتباينة – يضاف إلى ذلك الجماعات التى تتبلور حول إهتمامات مزدوجة – بنية المجتمع الإفتراضى الذى يعمل موقع "الفيس بوك" بالإضافة إلى المواقع الأخرى على إبراز ملامحة.

وتتصل الحقيقة السابعة على أن التعبير من خلال موقع "الفيس بوك" يتميز بكونه محرراً من القيود، ويمكن النظر إلى أن هذا التحرر يتحقق على ثلاث طبقات، الطبقة الأولى أنه تحرر يتحقق من خلال آليات المجتمع الإفتراضى. وهى الآليات التى لا يستطيع الكبار التعامل بواسطتها، ومن ثم نجد الشباب محررون من سلطة الكبار فيما يتعلق بالمضامين التى يتداولونها. وفى إطار الطبقة الثانية فإنه بإمكان الشباب من أجل أن يصبح تعبيرهم حراً، أن يظهروا أنفسهم من خلال صفات مستعارة غير صفاتهم الشخصية، وفى إطارها يعبرون بلا حرج عن كل ما يدور بداخلهم بدون إعتبار لأية قيود. والثالثة أن بإستطاعة شباب "الفيس بوك" أن يمنع الآخرين من الدخول على صفحاته، كما أن بإستطاعته أن يمنع النقل منه. وهو ما يمنحه قدراً أكبر من التحرر والحرية فى التعبير، ولذلك وجدنا أن التعبير عن مختلف القضايا صريحا ومحرراً من آية قيود.

وتذهب الحقيقة الثامنة والأخيرة أنه برغم الفعالية العالية لشباب المجتمع الإفتراضى، فإن حجمه ومدى فاعليته ما زال محدوداً. وذلك بإعتبار كونه يخضع لإستقطاب الشمال والجنوب والتوزيع غير العادل لآليات الإتصال. ذلك أن إستخدام آليات الدخول إلى المجتمع الإفتراضى كإمتلاك الكومبيوتر وتكاليف الدخول إلى شبكة المعلومات، وإمتلاك المهارات لإنجاز ذلك قد تكون ميسرة للبعض. غير أنها تصبح ذات تكاليف باهظة وعالية للغاية بالنسبة للبعض الآخر فى هذا العالم. فمثلا نجد أن نصف الشباب فى الولايات المتحدة يتعاملون مع هذه الخدمة، بالإضافة إلى فاعلية متغيرات الدخل والنوع والتعليم والسن، حيث تحدد هذه المتغيرات من هم السكان وما هى

الشرائح التى تستفيد من هذه الخدمة. غير أن الأمر يصبح أكثر سوءاً بالنسبة للمجتمعات الفقيرة، حيث تنخفض نسبة المتعاملين مع المجتمع الإفتراضى بصورة واضحة. وإستناداً إلى بيانات البرنامج الإنمائى للأمم المتحدة، فإننا نجد أن المجتمعات الصناعية يصل سكانها الذين يتعاملون مع شبكة المعلومات الدولية إلى نحو 15% من سكان العالم غير أن نسبتهم تصل إلى 88% من مستخدمى شبكة المعلومات فى هذا العالم. تأكيداً لذلك نجد أن 5, من واحد فى المائة من السكان هم الذين يستفيدون من هذه الخدمة. وأن ربع مجتمعات العالم لديهم أقل من تليفون واحد لكل مائة شخص، الأمر الذى يجعل إمكانية الحصول على خدمة شبكات المعلومات أملا صعبا فى المدى القصير (11)، وهو ما يعنى أن توزيع هذه الخدمة يتصف بعدم العدالة على الصعيد العلمى.

ويتساوى مع ذلك عدم عدالة مناظرة تصبح أكثر وضوحاً فى مجتمعات الجنوب، حيث نجد أن إمتلاك إمكانية الدخول إلى المجتمع الإفتراضى عبر آلياته ميسر بالنسبة للطبقة العليا والشريحة العليا للطبقة الوسطى. التى يمتلك أبناؤها الحاسبات الآلية وتكاليف الإشتراك فى الشبكة، وفى العادة يدخل هؤلاء إلى المجتمع الإفتراضى من داخل منازلهم. على خلاف ذلك نجد أن أبناء الشرائح الوسطى والدنيا للطبقة الوسطى، يدخل إلى المجتمع الإفتراضى وإن كان ذلك بمستوى أقل نسبيا. وذلك لأنهم لا يمتلكون فى الغالب آليات الدخول إلا بصورة مؤقتة وغير منتظمة، من خلال "قهاوى الإنترنت" لقاء تكاليف منخفضة نسبيا، تأكدياً لذلك أننا نجد أنه بينما تبلغ نسبة الشباب فى المجتمع المصرى نحو 34%، أى ما يعادل خمس وعشرون مليون شاب، لا يدخل منهم شبكة المعلومات سوى مليونان ونصف شاب. يضاف إلى ذلك أن هناك غياب للعدالة بين الريف والحضر، حيث نجد أن سكان الحضر هم بالأساس المتعاملون مع المجتمع الإفتراضى. يضاف إلى ذلك وجود بعض التحيزات فيما يتعلق بمتغير النوع والسن والتعليم، حيث نجد أن الذكور والشباب والمتعلمون هم الأوفر حظا من حيث إمتلاك القدرة للدخول إلى المجتمع الإفتراضى، مقارنة بالإناث وكبار السن والأميين.

ذلك يعنى أننا من خلال "الفيس بوك" نطل على مجتمع إفتراضى غالبية مواطنية من الشباب، الذين تحرروا من قيود واقعهم الإجتماعى، ومن ثم شرعوا فى التعبير عن

ذواتهم، بحرية تمكنهم من إختراق المحرمات كالدين والجنس والسياسة. وهى القطاعات التى تعتبر مجالات عمل مفضله بالنسبة للشباب، إضافة إلى أنها المجالات التى تفرض القيود بكثافة عليها. وإذا كنا فى الفقرة السابقة قد عرضنا لبعض الحقائق المتعلقة بموقع "الفيس بوك"، بإعتباره الموقع المتميز بين مختلف المواقع على شبكة المعلومات، فإننا نعرض فى الفقرة التالية لبعض الإعتبارات المتعلقة بإستخدام الشباب لمواقع "الفيس بوك".

ثانياً: إعتبارات أساسية حول شباب "الفيس بوك"

نحاول فى هذه الفقرة تطوير مجموعة من الإعتبارات الأساسية التى تتصل بطبيعة العلاقة بين الشباب وموقع "الفيس بوك"، بإعتبارها الأبعاد التى تحدد طبيعة التفاعل الثقافى والإجتماعى. وتتصل هذه الإعتبارات بجوانب كثيرة ابرزها دوافع دخول الشباب على موقع الفيس بوك، وأنماط الشباب المشاركين فى هذا الموقع. إضافة إلى الدور الذى يلعبه الموقع فى تشكيل الكتلة الشبابية التى تتفاعل فى المجال الإفتراضى، الذى أسسه الموقع. وما هى خصائص هذه الكتلة، ثم ما هى القيم أو الثقافة التى توجه سلوكها على موقع "الفيس بوك" وعلاقة ذلك فى مجملة بالإطار الإجتماعى للشباب فى مجتمعه الواقعى. ويتمثل الإعتبار الأول من هذه الإعتبارات فى طبيعة الدوافع، التى تدفع الشباب للتعامل مع موقع "الفيس بوك"، فى هذا الإطار تذهب أحدى الدراسات على أن أهم الدوافع هى الدوافع الطقوسية، والتى يسعى من خلالها الشباب لتمضية وقت الفراغ والتسلية والتنفيس عن الذات. وفى هذا السياق فإننا نجد أن التفاعل الحادث على موقع "الفيس بوك" يشكل الجانب العاطفى أو الدافئ فى حياة الشباب لكونه يشكل الساحة التى يهرب إليها من مصاعب الحياة اليومية. والذى تؤدى إلى تزايد إرتباط الشباب بالمجتمع الإفتراضى عموما، وبموقع "الفيس بوك" بصفة خاصة. وتشكل الدوافع المعرفية الدافع الثانى، حيث يتجه الشباب إلى التعامل مع الموقع للحصول على المعلومات المتعلقة بمختلف المجالات، خاصة أن هذه المعلومات تقدم له أحيانا من خلال ثقافة الصورة الأكثر ملاءمة لعقلية الشباب. بالإضافة إلى ذلك هناك الدوافع الإجتماعية للتعامل مع الموقع، والتى تتمثل فى السعى لإقامة علاقات إجتماعية جديدة،

والحرص على التفاعل الإجتماعى والمشاركة الإجتماعية مع الأصدقاء. خاصة أن الأطر الإجتماعية التقليدية الواقعية كالأسرة والمدرسة لم تعد قادرة على إحتضان الشباب. وتوفير إشباع لحاجاته العاطفية، فضلا عن حرية الرأى والتعبير التى يفتقدها فى مختلف المجالات وعلى كافة المستويات. إلى جانب محاولة تأسيس علاقات عاطفية مع أصدقاء جدد، لم يرتبط بهم الشباب بأية علاقات خارج شبكة المعلومات (12). يؤكد ذلك دراسة أجريت على عينة من الشباب حول دوافع تعامل الشباب مع موقع "الفيس بوك" فأشاروا إلى التسلية والترفية، وذلك بنسبة 70% من عينة الدراسة. إلى جانب تشكيل صداقات جديدة كما ذهبت نسبة 41,2%، والتواصل مع الآخرين كما أشارت نسبة 37,5% والتنفيس عن الذات كما ذكرت نسبة 24,3% . ثم البحث عن علاقات رومانسية كما ذهبت نسبة 18,4%، والإشتراك فى مجموعات متنوعة كما أشارت نسبة 15,4%. وهى كلها دوافع تشير إلى إفتقاد الشباب لهذه الجوانب فى المجتمع الواقعى، ومن ثم فقد لجأوا إلى المجتمع الإفتراضى الذى بدأ يشكل سياقا لإشباع الحاجات الشبابية.

ويذهب الإعتبار الثانى إلى أن تعامل الشباب مع موقع "الفيس بوك" يؤدى إلى عديد من الآثار الإجتماعية الإيجابية والسلبية على السواء. وهى الأثار التى تبدأ من إتاحة الفرصة للأنفتاح على الآخرين، وهو الإنفتاح الذى قد تكون له نتائجه الإيجابية، كما قد تكون له نتائجه السلبية. ومن النتائج الإيجابية التى أكدت عليها إحد الدراسات أن التعامل مع موقع الفيس بوك يساعد الشباب على أن يكونوا منفتحين على الآخرين بوزن نسبى يصل إلى 44%. أو أنه يساعد الشباب على التخلص من الوحدة التى يشعرون بها فى سياقاتهم الواقعية وذلك بوزن نسبى يصل إلى 83,09، أو أنه يساعد الشباب على التخلص من ضغوط الحياة بوزن 78,38 . إضافة إلى أنه يساعد الشباب فى تطوير علاقات إجتماعية، تساعد هى فى التواصل مع الأصدقاء من خلال الموقع كبديل للتواصل معهم فى الواقع بوزن نسبى يصل إلى 66,03 . كما أنه يساعد فى تأكيد قدرة الشباب على التكيف مع مشاكلهم وذلك بوزن يصل إلى 156,37.

فى مقابل ذلك هناك بعض الأثار الإجتماعية السلبية، كالشعور بالملل، بسبب قضاء وقت طويل فى التعامل من خلال الموقع مع الآخرين، الأمرالذى يجعل الإنسان

أكثر قلقا لأنه يعيش مشكلاتهم وذلك بوزن 59,56 . يؤكد ذلك قول أحد الشباب أن "الفيس بوك" ده دايما مليان دراما، أنا خلاص زهقت من الألم والدموع والغيرة والحزن والحقيقة والأكاذيب... دى حاجة فظيعة...أنا بجد زهقت جداً من الدراما، مش قادره أستحمل أكثر من كده، بدل من الحب المفروض نشعر به ... أنا عندى أصحاب بيشتكوا لى أنهم مش رقم واحد من ضمن أفضل ثمانية أصدقاء عندى، مش مقعول، إكبروا بقى، سارة 17 سنة" (13). إضافة إلى أن التفاعل من خلال المجتمع الإفتراضى يجعل الإنسان سلبيا فى مواجهة تفاعلات المجتمع الواقعى وذلك بوزن 49,51 . يضاف إلى ذلك أن التفاعل من خلال الموقع مع الاخرين، من شأنه أن أثر على التفاعلات ذات الطابع الجماعى كتلك التى تقع فى نطاق الأسرة وذلك بون 43,63 . الأمر الذى يعنى أن إستغراق الشاب فى تفاعلات المجتمع الإفتراضى، يؤثر بطبيعة الحال على درجة مشاركتة فى تفاعلات المجتمع الواقعى، وعدم الإهتمام بقضاياه وظواهرة (14).

وإلى جانب أن المشاركة الإجتماعية فى المجتمع الإفتراضى من خلال موقع "الفيس بوك" له آثارها السلبية والإيجابية، فإن لهذه المشاركة أثارها النفسية الإيجابية والسلبية كذلك. فمن الآثار الإيجابية ذكر نسبة من الشباب أنها تشعر بسعادة كبيرة حينما تتواصل مع أصدقاء قدامى، وذلك بوزن 92,4 . إضافة إلى تأكيد بعض الشباب بأنه يشعر بالأهمية والإيجابية حينما يشارك الآخرين همومهم وأخبارهم ومناسباتهم، وذلك بوزن 83,85. كما ذكر البعض أنه لا يشعر بالوحدة أو الإنطواء عندما يتفاعل مع الآخرين من خلال موقع "الفيس بوك" وذلك بوزن 81,86. كما ذكر آخرون بتزايد قدرتهم على المشاركة وإتخذ القرار، من خلال التفاعل من خلال الموقع وذلك بوزن 69,85. أو أنهم يشعرون بتحقيق ذواتهم من خلال التفاعل مع آخرين فى الموقع وذلك بوزن 67,85 ، كما ذكرت شريحة أخرى بتغير مزاجها بسبب التفاعل كثيراً من خلال الموقع، وذلك بوزن 65,44. بالإضافة إلى ذلك توجد الآثار السلبية كذكر شريحة من الشباب بأنها تشعر بالسلبية، حينما لا تستطيع المشاركة فى حل مشاكل الآخرين المتفاعلين معهم خلال الموقع وذلك بوزن 62,5. كذلك ذكر بعضهم عدم الإرتياح لتغير أسلوبهم فى الحياة وذلك بوزن 57,6 ، وتأكيد البعض بوزن 51,72 بأنهم

يشعرون بالعصبية لإدمان التفاعل مع الآخرين داخل الموقع. وذكر البعض بأنهم يتقمصون أدوارا غير حقيقية فى التعبير عن حالهم داخل الموقع، وذلك بوزن 50,25 كما أكد البعض على الشعور بالقلق والإكتئاب بسبب التفاعل على ساحة الموقع (15).

وذلك يعنى بطبيعة الحال أن التحول فى طبيعية التفاعل الإجتماعى من هيئته الواقعية إلى شكلة الإفتراضى، يجعل الشخص اكثر ميلا للإصابة ببعض التقلصات الإجتماعية والنفسية. وذلك يرجع إلى أن الشخص قد تمت تنشئتة فى سياق واقعى التفاعل، وهو الآن يتفاعل بهذه المكونات الواقعية فى سياق إفتراضى. الأمر الذى يفرض على بعض شرائح الشباب الأحساس بالميل إلى العزلة، أو القلق بشأن مشاكل الآخرين، أو بسبب الإبتعاد عن التفاعل الأسرى الذى إعتاد عليه. وذلك يرجع إلى أننا أمام تفاعلات جديدة يمكن أن تمس رواسخ المجتمع الواقعى، لولا أن الشرائح المشاركة فى التفاعل الإفتراضى ما زالت محدودة للغاية، لا تتجاوز 2,5 مليون شاب. ينتمون فى غالبهم إلى الشرائح العليا من الطبقة المتوسطة أو الطبقة العليا، وهى شرائح لها موقعها المنعزل نسبيا فى بناء الترتيب الإجتماعى.

ويتصل الإعتبار الثالث بأن "الفيس بوك" يلعب دوراً محوريا فى تشكيل الكتلة الشبابية، لتؤسس ما يمكن أن يسمى بشعب "الفيس بوك" حيث تتأسس جماعة الكترونية، يشارك فيها الشباب الذين ينتمون إلى مجتمعات مختلفة، وإلى أعمار مختلفة نسبيا وإن كان داخل الحدود الشبابية (16). وبرغم قيام هذه الوحدة الشبابية ذات الطابع العالمى، إلى أن البعد القومى ما زال قائماً. إذ يتميز شعب "الفيس بوك" بكونه – كما أشرت – من حيث كونه يتشكل فى غالبة من أبناء الطبقة الوسطى، الذين إتسعت مساحة الإحتجاج الإجتماعى لديهم تارة بسبب إرتفاع الأسعار، أو مظاهر الأزمات الأخرى التى تعانى منها الطبقة الوسطى. وتارة بسبب أشكال التعذيب فى المعتقلات، حينما يحاول أبناء هذه الطبقة لإحتجاج بسبب سوء ظروفها وأوضاعها، أو بسبب تراجع الأوضاع الإجتماعية فى مصر مقارنة بالفترة الإشتراكية السابقة التى إزدهرت فيها أوضاع الطبقة الوسطى (17). وذلك بإعتبار أن الطبقة الوسطى هى الطبقة التى يتولى أبناؤها عادة التعبير عن الصوت المكتوم للمجتمع. ويساعد فى تشكيل هذه الكتلة الشبابية، أن جميع الشباب يدخلون إلى موقع "الفيس بوك" متخلين

تماماً عن تحيزاتهم الواقعية الإثنية. إذ لا يلعب الإنتماء العرقى أو الطبقى دوراً يذكر فى الدخول والمشاركة فى تفاعلات الموقع. فالمراهقون الفقراء السود يرغبون مثل بعض المراهقين البيض من الطبقات الأغنى فى الالتحاق بالموقع، على الرغم من أن ما يمارسونه على الموقع يتأثر بطبيعة الحال بخلفاتهم الإجتماعية" (18).

ويذهب الإعتبار الرابع إلى تميز "شعب الفيس بوك" – حسبما تذهب بعض الدراسات – بأن غالبية مستخدمى الإنترنت هم من الشباب، مقارنة بالبالغين. وهو الأمر الذى إنعكس على سرعة إتساع الشبكة الألكترونية لأسباب عديدة منها أن الشباب يشكلون الغالبية بخاصة فى مجتمعاتنا العربية، إذ تصل نسبتهم فى العالم العربى إلى نحو 34% من جملة السكان العرب. وثانيا لأن الشباب هم الذين لديهم الميل إلى المغامرة وإستكشاف ما هو جديد، وقد ضاعف من ذلك الزمان المتسارع الأحداث والتفاعل، والذى إتسق فى تحولاته السريعة مع طبيعة الشخصية الشابة. بحيث ساعد ذلك على إتساع مواقع الشبكات الإجتماعية عبر شبكة المعلومات الدولية بصورة سريعة جداً، بحيث لعبت دورها فى تأسيس علاقات وقيام صداقات بين المستخدمين للشبكة فى المنطقة الواحدة (19). والتى إتسعت أحيانا لتشمل التجمعات الشبابية عبر العالم، ما دامت التفاعلات تدور حول ذات الإهتمامات المشتركة. وحيث تقوم الصداقة بين الأعضاء المتشابهين فى الصفات والهويات والأفكار، وهى الظروف التى تتيح لهم التعرف على بعضهم البعض، والتواصل فيما بينهم. مثل هذا التجمع يكتسب خصائص إجتماعية جديدة ومحددة، أهمها إلغاء فاعلية المتغيرات، التى قد تلعب دورها فى تفتيت هذه الكتلة الشبابية. فمثلاً يشير تأمل حالة متغير النوع بين شباب "الفيس بوك" إلى أن 45,6% منهم من الذكور حسبما تذهب أحدى الدراسات فى مقابل 54,4% من الإناث هم الذين يشاركون فى الموقع (20). وهو ما يعنى التقارب فى الإشتراك فى موقع "الفيس بوك"، وإن ظهرت الإناث بدرجة أكثر، لأنهن الأكثر تعرضا للقهر فى المجتمع الواقعى، ومن ثم الهروب إلى المجتمع الإفتراضى. بالإضافة إلى ذلك فإن تأمل متغير السن يكشف أن شعب "الفيس بوك" شبابى بالأساس. حيث نجد أنه برغم إمتداد الإشتراك فى موقع "الفيس بوك" إلى أسفل حتى شمل طلبة المدارس الثانوية، إلا أن عدد المشاركين من هذا المستوى ما زال محدود إلى حد كبير. حيث نجد فى ذات

الدراسة أن نسبة المشاركين أقل من 18 سنة بلغت نحو 14,6% وأن نسبة المشاركين بين 18 سنة إلى 20 سنة بلغت نحو 16,2%. ونسبة المشاركين من 20–22 سنة بلغت نحو 30,9%، وأن من هم أكثر من 22 سنة حتى الحد الأعلى المفترض لسن الشباب، وهو 30 سنة بلغت نحو 38,2% (21). وهو ما يشير إلى أن طلاب المرحلة الجامعية والثانوية هم الجهور الرئيسى لموقع "الفيس بوك". يضاف إلى ذلك أننا إذا تأملنا الأمر من الناحية الإجتماعية، فإننا سوف نجد أن غالبية المشاركين فى "الفيس بوك" هم من الغرب". فى هذا الإطار تذهب ذات الدراسة إلى أن العرب بلغت نسبتهم نحو 86,8%، فى مقابل المتزوجين الذين بلغت نسبتهم نحو 13,2%. وهو الأمر الذى يشير إلى أن شبكة "الفيس بوك" وما يتم تداولة على ساحتها أصبح المرجعية الأساسية للشباب العزب، ومن الطبيعى أن يكون ذلك على حساب تقليص روابطهم الإجتماعية الواقعية، على عكس المتزوجين الأقل مشاركة فى موقع "الفيس بوك"، وربما فى المجتمع الإفتراضى عموما. لأنهم أكثر إستتراقاً فى تفاعلات وعلاقات المجتمع الواقعى، ومن ثم فلا حاجة لديهم للإستغراق فى تفاعلات المجتمع الإفتراضى.

وإذا كان الإعتبار السابق يشير إلى دور موقع "الفيس بوك" – إلى جانب المواقع الالكترونية الأخرى – فى تشكيل الكتلة الشبابية فإن الإعتبار الخامس يهتم بتشكيل الوعى الشبابى، من خلال دخول الشباب للتواصل مع الآخرين. حيث يؤكد أحدهم "لأنه المكان الذى فيه أصدقائى"، يدخل الشباب معبرا عن طبيعته إلى هذا الموقع ودون بحث فى منطق هذا السلوك، حيث نجدهم يجيبون على سؤال لماذا الدخول إلى الموقع، فيجيب "مش عارف ...بأخش وخلاص" (22) تأكيداً لميل إنسياب إلى المغامرة والبحث عن ما هو جديد. بالإضافة إلى ذلك فإن الموقع يلعب دوره فى تدعم التواصل الإجتماعى بين مجموعات الأصدقاء. وهو ما يعنى أن الشباب ينضم إلى موقع الفيس بوك للمحافظة على إتصالاتهم مع الأصدقاء. بحيث يساهم تصفح صفحات بعضهم البعض إلى تعميق التواصل والتفاعل. بحيث يمكن أن يؤدى ذلك بداية تشكيل مضامين هذه الصفحات مرجعية للأفكار والقيم والسلوك.

وإنطلاقا من الصفحات الخاصة يتحرك الجميع إلى تأسيس صفحة أو بروفايل عام "يعط الحائط أو الجدار أحد أشكالها ذلك لأن الشباب يميلون إلى إمعان النظر فى

بروفيلات الآخرين يبدأون بالصديق الذى دعاهم. وبرؤيتهم لهذا "البروفايل" تطرح أمامهم روابط لأصدقاء "الفيس بوك"، وفى هذه الحالة يكون فى مقدرتهم أن يقضوا ساعات لا حصر لها، يتصفحون شبكة الموقع. يقفزون من صديق إلى صديق ويلملمون أثناء ذلك مضامين وقيم ومعطيات، وفى هذا الإطار يتعرف الشباب على أنواع التقديم التى تكون مناسبة إجتماعيا. إذ تقدم لهم صفحات الآخرين أمثلة واضحة لما ينبغى عليهم أن يقدموه على "البروفايل" الخاص بهم (23). ومن ثم يتحرك الجميع بإتجاه الإتفاق على مجموعة من الأسس– بدون التفاعل الفيزيقى المباشر – التى ينبغى أن تراعى سواء فى بناء "البروفايل" أو السعى إلى تصفحه، أو ما يتعلق بالمضامين التى ينبغى أن توضع فيه. وهو ما يعنى أن التفاعل الإجتماعى مع الاخرين على موقع "الفيس بوك" يؤدى إلى تنمية المهارات الشخصية والخبرات الحياتية والتعامل مع الآخرين، فضلاً عن أن الروابط الإجتماعية على شبكة المعلومات، تساعد على بعث الشعور بالراحة لدى المستخدمين (24)، فهم فى مجتمعهم وبين نظرائهم.

على هذا التحو تتشكل كتلة شبابية بإعتبارها واقع متجسد ومتفاعل فى نطاق مجتمع إفتراضى أو لنقل خيالى. ومن المثير أن هذه الكتلة ليست ساكنة ولكنها متحركة، تسعى إلى أن تتحول من كتلة فى ذاتها إلى كتلة لذاتها – إذا إستخدمنا اللغة الماركسية – حيث تتحقق ذلك حينما تكتسب الوعى الفاعل من خلال الحوارات المتطرفة والمتناقضة أحيانا، حول قضايا متنوعة تهم مجتمعاتنا، ويهتم بها شباب "الفيس بوك". من هذه القضايا قضية التفاعل بين العالمية والمحلية، فقد ظهرت مجموعات شبابية مناصرة لإدماج القيم الغربية فى ثقافة المجتمعات العربية من أجل الأسراع فى خطى التقدم بها. فى مقابل مجموعات أخرى تطالب بالإنعزال عن وسائل التكنولوجيا الحديثة، حماية الهوية العربية من القيم الدخلية على المجتمعات العربية. وبين هذين الموقفين المتناقضين ظهر تيار وسطى يرى أهمية دمج الإتجاهين، بحيث يساعد هذا الدمج فى عملية التحديث والتقدم العربى. قضية ثانية برزت حينما شنت إسرائيل العدوان على غزة، حيث ظهرت نتيجة لذلك حوارات على "الفيس بوك" تعبر عن ميل البعض إلى التراجع، والإكتفاء بمتابعة القضايا الوطنية والإنكفاء عليها، على حين وضع البعض الآخر القضايا العربية فى المقدمة، بإعتبارها تسبق الإهتمام بكل القضايا الوطنية (25).

وهو ما يعنى أنه ثمة تفاعلات تموج بها الساحة الشبابية على موقع "الفيس بوك" وهى التفاعلات التى تعبر عن ثلاثة أبعاد أساسية. حيث نشير البعد الأول إلى كسر إحتكار مجموعات شبابية معينة للعمل الشبابى إما لقربها من النظم السياسية، التى تتيح لها فرصة اكبر للتعبير، وإما لإحتمائها بمظلة جماعة إثنية معينة، تفرض تقدم المجموعة الشبابية على غيرها.

بينما يتمثل البعد الثانى فى تحرك المجموعات الشبابية المشاركة فى "الفيس بوك" من موقع المتلقى إلى موقع المشارك، أى من شريحة خاملة لا صوت لها إلى شريحة فاعلة تشارك فى صنع القرارات. ودون التضخيم فى نسبة هذا التغير، إلا أنه من الملاحظ حرص غالبية المواقع الألكترونية وعلى رأسها موقع "الفيس بوك" على فتح خاصية التعليق على محتوياتها لكل زوارها من الشباب. وهو ما أتاح الفرصة للشباب، بوضعهم يشكلون غالبية مستخدمى الشبكة الألكترونية، للدخول بقوة فى هذا المجال والتعبير عن وجهة نظرهم، تجاه القضايا المطروحة. وتقييم أو نقد طريقة التعامل الحكومى معخا، بحيث يتم الإستفاده من هذه المدخلات وإعادة تدويرها لتنعكس فيما تبثة الفضائيات من أخبار وتحليلات.

ويتصل البعد الثالث ببناء شبكة علاقات الكتلة الشبابية، فلكى يزيد شباب المجتمع الإفتراضى، وبخاصة على "الفيس بوك" من قوتهم فإنهم يلجأون إلى آلية التشبيك. والتشبيك يتم بعبور الحدود القطرية إلى الإتصال بالتجمعات الشبابية العربية، لتشكيل تجمعات شبابية عابرة للحدود الوطنية. وبالرغم من أنه لا يوجد تحديد واضح لأهم هذه المجموعات ونطاق عملها والمعوقات التى تواجهها، إلا أنه يمكن الحديث عن عدة مجموعات شبابية نشطة فى هذا المجال عابرة للحدود القطرية، منها مجموعة "شباب بلا حدود" (26). وتتسع عملية التشبيك بمساحة أوسع حينما تتصل بعض مجموعات الشباب العربى ببعض مجموعات الشباب على الصعيد العالمى، لشرح بعض القضايا العربية للشباب (27). وهو ما عجزت عنه، أو لم تؤده بنفس الكفاءة مؤسسات الأنظمة السياسية، وبقدر ما مؤسسات المجتمع المدنى.

ويتمثل الإعتبار السادس فى بروز تباين واضح بين الشباب فى المجتمع الإفتراضى، وبالتحديد على موقع "الفيس بوك"، الذين يمتلكون إمكانية التعامل مع

التكنولوجيا الألكترونية. التى تشكل مدخلهم إلى المجتمع الإفتراضى من ناحية، والكبار الذين تتتابع دوائرهم من الكبار فى الأسرة إلى الكبار فى المدرسة إلى الكبار فى مؤسسات الدولة المختلفة. ومن الثابت أن هؤلاء الكبار لم يتيحوا الفرصة الكافية فى كثير من الأحيان للشباب، للتعبير عن أنفسهم. سواء من خلال الأسرة التى لم تعد قادرة على إستيعاب أبنائها، أو التى تفجر الصراع على ساحتها، بسبب الإنهيار والهشاشة التى تعانى منها. أو المدرسة تخلت عن وظائفها التربوية وسقطت على ساحتها القدوة، والأحزاب السياسية، وتكوينات المجتمع المدنى التى لم تستطع أن تستوعب الطاقات الشابة من ناحية ثانية. مثل هذا التباين أدى إلى ترك شريحة من الشباب، الأكثر وعيا والأكثر قدرة على التعامل مع هذه التكنولوجيا الحديثة للمجتمع الواقعى. واللجوء إلى المجتمع الإفتراضى، إذ يرى الشباب أن المجتمع الإفتراضى الذى يشارك فى تأسيسة "الفيس بوك" والمواقع الألكترونية الأخرى هو "الفضاء الخاص لهم، فهو مساحة للشباب بحكم كونهم شباب. " إرتباطا بذلك يدرك الشباب أن المجتمع الواقعى للكبار يفرض عليهم كثيراً من القيود، التى تحرمهم من المشاركة، ومن أبداء وجهة نظرهم. كما يشعرون بأنهم متأرجحون، وفى حيرة من أبائهم الذين يعتقدون فى المضامين السلبية لهذه الإتصالات، تلك التى تقع بينهم وبين رفاقهم الشباب الذين يتفاعلون معهم عبر شبكة "الفيس بوك". ويؤسسون معهم مجتمعا إفتراضيا يقدم إشباعاً لإحتياجاتهم الشابة على المستوى المعنوى. وتتطور على ساحتة صيغ عديدة للتوقعات المتبادلة التى تشير بأنه مجتمع فى إتجاه الإكتمال. تأكيداً لموقف الأهل الشكى من هذه الإتصالات تؤكد إحدى الفتيات الصغيرات السن "ياسمين 17 سنة" قائلة "لأنى كنت زهقانة، وكونى قاعدة على الكومبيوتر الساعة إثنين ونصف صباحاً مش معناه إنى مش كويسة. يعنى إمبارح جت "أمى" وزعقت فى علشان أنام. ولما ما نمتش بقت تقول (طيب بتعملى أيه، ورينى بتعملى إيه). طبعاً كنت بأتفرج على "برفيلات" "الفيس بوك" ، لأنه مفيش حاجة تانية أعملها، لكن ما ينفعش أشرح لها ده، لأنها مش حتفهم" (28). وتقول اخرى "أنا أمى صعبة جداً، فصعب أوى أروح أى مكان دى تبقى معجزة كبيرة، علشان كده بأكلم الناس على "الفيس بوك" أنا عارفة إنها تقصد خير، عارفة إنها مش عايزانى أفسد... بس ساعات بتحتاج تجرب علشان تعرف إنك غلطت. ساعات بتحتاج الأخطاء علشان

تعرف إيه الصح. لازم نجرب" "سوزان 15 سنة"(29). وتقول ثالثة "أنا عندى أصدقاء مش بيقولوا لأهاليهم عن "مای سبيس" أو "الفيس بوك" لحسن يتعاقبوا، أنا أعرف إثنين إتمنعوا منه بس بيدخلوا برضة فى السر "ليالى 15 سنة" (30).

وتقف الدولة نفس هذا الموقف الشكى من الشبكات الإفتراضية، فمثلاً إذا تأملنا سلوك الحكومة – حسبما يعبر مدير مركز الأندلس" عن إضراب 6 إبريل قائلا "المشكلة الأساسية فى إضراب 6 إبريل أن الحكومة تعاملت مع "الفنكوش" قاصدا موقع "الفيس بوك" الذى مثل بالنسبة الحكومة حينئذ" عدوا مجهولاً. وإستطرد قائلا "أن الحكومة تستخدم مع الشعب أسلوب المصادرة المادية والفكرية، مستشهداً بكتاب "علشان متضربش على قفاك" الذى صادرته الحكومة. ومع ذلك قام الشاب بنشره على الإنترنت بما فى ذلك من دلالة على أن "شباب هذا الجيل يرفض المصادرة، وليس لديه أى إستعداد لقبولها" (31). ويذهب باحث آخر إلى أن "الحكومة هى التى فرضت هذه الوسيلة على الشعب ومنحته التسهيلات الممكنة ليصل إلى كل فئاته، قاصدة من وراء ذلك أن يكون وسيلة للإلهاء فقط، ولكن ما فعلتة إنقلب إلى ضدها. فالشباب وجد نفسه يتفاعل على شبكة المعلومات ويشعر بالإغتراب داخل بلده، بحيث إعتبر "الفيس بوك" والمواقع الألكترونية الأخرى منبراً سياسياً وإجتماعياً وثقافياً، وذلك يرجع أيضا إلى حرمان الشباب من المشاركة السياسية واقعيا. تأكيداً لذلك أن نسبة التمثيل السياسى للشباب داخل الأحزاب السياسية بلغت 1,7% فقط، كما نشرت ذلك صحيفة النيويورك تايمز (32).

ويتصل الإعتبار السادس بسعى الشباب لتطوير هوية إفتراضية جديدة على "الفيس بوك". حقيقة أن بعض عناصر الهوية الإفتراضية لم تنشأ من فراغ، بل تمتد جذورها فى السياق الواقعى وتتأثر ببعض ملامحة والتفاعلات الحادثة فيه. ويتعلق البعد الأول للهوية التى يطورها الشباب على موقع "الفيس بوك" بالمرحلة العمرية للملتحقين بهذا الموقع. إرتباطا بذلك هناك بعض الدراسات التى أكدت أن 87% من المتعاملين مع الشبكات الألكترونية، تتراوح أعمارهم بين 12–17 سنة. وأن 64% منهم من 15–17 سنة، وإن كان السن حسب دراسة أخرى يرتفع قليلاً إلى أعلى بالنسبة "للفيس بوك" إلى ما بعد 22 سنة. وهو ما يعنى أن مرحلة الشباب –كما أشرت – هى البعد الأبرز فى

تحديد هوية المتفاعلين على ساحة "الفيس بوك". ويتحدد البعد الثانى فى الهوية الشبابية لمرتادى هذا الموقع، فى إنتماء أغلب المتعاملين مع "الفيس بوك" والمجتمع الإفتراضى عموماً من الشباب، إلى أعلى الطبقة المتوسطة، والطبقة العليا. وهم فئات الشباب الذين فى إمكانهم التعامل مع هذه التكنولوجيا الحديثة. وإذا كانت الطبقة الوسطى فى العالم العربى ومصر بالتحديد تعيش فى أزمة من حيث وجودها الواقعى، أحد أبعادها أن ثقافتها أصبحت معرضة للتآكل إلى حد كبير (33). بحيث إنعكس ذلك على دينامية تشكل هوية شباب هذه الطبقة فى المجتمع الإفتراضى، حيث نجد أن التفاعلات جميعا، تدور حول عدة مشكلات أو قضايا تتصل إما بالإحتياجات الشبابية. التى تميل إلى التواصل مع الآخرين، الذين حلوا من خلال المجتمع الإفتراضى محل أسرة الطبقة الوسطى المتهتكة النسيج، والتى تعانى أيضا من مشكلات عدم التواصل بين أعضائها. أو مسائل تتعلق بالفساد، الذى يرى هؤلاء الشباب أنه قد أنتشر فى المجتمع، وبدأ يلعب دوراً سلبيا من حيث كونة سببا لعدم إشباع حاجاتهم، أو حتى التفاعل حول قضايا مجتمعية عامة، غير انها تتصل بإنهيار أوضاع الطبقة الوسطى. وبسبب الطابع الأخلاقى لثقافة الطبقة الوسطى، يتأرجح شباب "الفيس بوك" فى تفاعلهم بين سلوكين متناقضين. الأول أنهم يسعون أحيانا إلى إخفاء بعض ملامح هوياتهم، حتى لا يعرفوا، وحتى يمكنهم التفاعل بقدر من الحرية مع نظرائهم على ساحة "الفيس بوك"، كى لا يصبحوا منكشفين. وفى ذات الوقت فهم يتفاعلون مع نظرائهم ولديهم رغبة عارمة فى الحصول على الإعتراف الإجتماعى بهم من قبل هؤلاء الأخرين، وهو الأمر الذى يقود إلى إنكشافهم فى النهاية. وفى إعتقادنا أن ذلك يعبر عن حالة مرحلية فى التعامل مع "الفيس بوك". إما زمنيا أو معنويا، حيث يمر الشاب بمرحلة بكون فيها أكثر تأثراً بقيم المجتمع الواقعى. الأمر الذى يجعله يستعين بقيمة فى البداية، وفى مرحلة ثانية يتجه إلى ممارسة قيم سلبية كالكذب، أو إنتحال أسماء وصفات لا يعبر عن ذاته. حتى إذا إطمأن إلى التفاعل الحادث، والذى يشارك فيه، فإنه يكشف عن ذاته، ويتفاعل فى الواقع الجديد أو المجتمع الجديد بقيم جديدة ومعايير جديدة كذلك.

ويشير البعد الثالث إلى أننا إذا تأملنا شباب المجتمع الإفتراضى بصورة عامة، فسوف نجد أن المتعاملين مع المجتمع الإفتراضى، وبخاصة موقع "الفيس بوك" هم

الشباب الذين لديهم قابلية التفاعل الإيجابى مع مضامين العولمة. بحيث يؤدى ذلك إلى نتيجتين، الأولى قابلية الإنتزاع من سياقهم الإجتماعى، والإهتمام بقضايا تتصل بصورة محورية بإحتياجاتهم، وإن إنفصلت نسبيا عن التفاعلات التى تقع على ساحة مجتمعاتهم. فهم يستخدمون تكنولوجيا المعلومات ويسبحون فى فضاء المجتمع الإفتراضى بعيداً عن مجتمعاتهم. ومن ثم نجدهم قد يهتمون بقضايا ذات طبيعة عالمية ليست ذات أهمية محورية بالنسبة لمجتمعاتهم. وفى هذا السياق تشير النتيجة الثانية إلى أن شباب "الفيس بوك" وإن إحتج فى السياق الإفتراضى إلا أنه تخلى نسبيا عن الإحتجاج فى السياق الواقعى. وفى هذا الإطار فإننا نجد أن لنا ملاحظتين، حيث تتمثل الملاحظة الأولى فى أن التفاعل على ساحة "الفيس بوك" يساعد على تفريغ شحنات الإحتجاج الإجتماعى، الذى التى قد يطفو على ساحة الطبقة الوسطى. قد يلعب هؤلاء الشباب دوراً فى الإحتجاج والإدانة والنقد على صفحات "الفيس بوك"، غير انه بمجرد الكتابة، فإن شحنة الإحتجاج الإجتماعى يتم تفريغها من بنية شخصياتهم. ومن ثم فهم وإن كان بإمكانهم تحريك الإحتجاج الإجتماعى إلا أنهم غير قادرين بفاعلية للإشتراك فيه أو تحمل تبعاته. وتتمثل الملاحظة الثانية بإرتباط شباب الفيس بوك" ببعض مضامين العولمة من خلال بروز دور الجنس فى صفحات "الفيس بوك". إبتداء من تشكيل جماعات لمناقشة الجنس والتعامل مع معطياته، ومروراً بتبادل الألفاظ الجنسية النابية على صفحات الموقع، وهى الدعوة إلى نقل الظواهر الجنسية الشاذة والغريبة على مجتمعاتنا، والمكالبة بنشرها بين الشباب، الأمر الذى يؤكد أننا أمام واقع يتداخل على ساحتة تفاعلات المجتمع الواقعى ولزومياته مع متطلبات العولمة وتفاعلاتها.

ويعد التعبير بغير إيماءات الجسد البعد الرابع الذى يميز هوية الشباب فى المجتمع الإفتراضى. تأكيداً لذلك أننا إذا تأملنا التفاعل الواقعى فإننا نجد أن هذا التفاعل يتحقق بنسبة كبيرة من خلال إشارات الجسد، وذلك لتوصيل بعض المعلومات المتعلقة بنا إلى الآطر، وسواء من خلال حركة الجسم أو الملبس أو الحديث أو تعبيرات الوجه. ثم نستقبل ردود فعل الآخرين لندرك مدى إدراكهم لما أردنا توصيلة إليهم. ومدى نجاحنا فى هذا الصدد، وهو ما يسمية "إيرفنح جوفمان Erving Goffman إدارة الإنطباع

(34). وهو ما يعنى أن ندرك أن أسلوب إدارة الإنطباعات يعد مهارة إجتماعية، يتم تطويرها وتأكيدها من خلال الخبرة. بحيث يساعدنا ذلك فى إدراك أو إستخلاص المعنى من الموقف، إستناداً إلى ما نعرضه على الآخرين وردود أفعالهم التى نتعرف عليها. وذلك يشير أن تعلم قراءة الإشارات الإجتماعية والإستجابة وفقا لها يشكل جوهر عملية التكوين والتكيف الإجتماعى مع التفاعل الإجتماعى الحادث فى المجتمع. وإذا كانت هذه العملية تبدأ داخل الأسرة فى إطار عملة التنشئة الإجتماعية، فإنها تلعب دوراً محوريا فى إندماج الشباب وتفاعلهم داخل مختلف السياقات الإجتماعية الأوسع، التى تتيح لهم بدورها تطوير هذه المهارات (35). بيد أن ما يحدث فى المجتمع الإفتراضى من خلال موقع "الفيس بوك" مثلا، أن الأجسام لا تكون منظورة، والمهارات التى يحتاج الناس إلى إدارتها تكون مختلفة. وحسبما تذهب "جينى ساندن Jenny Sunden" فإن الناس ينبغى أن يكتبوا بأنفسهم عن نفسهم (36). حيث يصبح النص والصورة والصوت والفيديو وسائل ذات قيمة لتطوير وجود فعلى، ومن الطبيعى أن يختلف المنطق الذى يحدد الأسلوب الذى نوصل به معلومات لها معنى من خلال أجسادنا عن الأسلوب الذى نوصل به المعانى من خلال المجتمع الإفتراضى حيث غياب الجسد. وهو تأمل ذاتى يرى جدنز Giddens أنه ضرورى لتشكيل الهوية وتأسيس الجسم الإفتراضى، أو الرقمى حسبما يذهب ميشيل فوكو Foucault (37).

وبرغم ذلك فإن المعلومات التى يدفع بها الشباب المتفاعلون على صفحات "الفيس بوك" تكون أكثر فجاجة وأقل دقة، بحيث يمكن للمتلقى تفسيرها لإكتشاف أن كان بها زيف. وتوضح ذلك "إيمى بروكمان Amey Bruckman" بقولها أن المعلومات الأساسية عن جسد الشخص تكون حاضرة ومتاحة على شبكة المعلومات، حتى حينما يحاول الشخص إخفائها والمراوغة بشأنها، البرهنة على ذلك أن الناس يبرعوا نسبيا فى إكتشاف متى يكون الشخص رجلاً حتى لو أقر بأنه امرأة (38). حيث يمكن من خلال إكتشاف إشارات معينة تدلنا على مساحة الخداع (39).

ويشير الإعتبار السابع إلى الحالة الثقافية لشباب "الفيس بوك" وهى الحالة التى تشير إلى إتجاه الشباب إلى تفكيك روابطة مع ثقافة المجتمع الواقعى. وإتجاهه بديلا لذلك إلى تطوير ثقافة تنمو جنينيا داخل المجتمع الإفتراضى، ويرجع تفكيك شباب

"الفيس بوك" لروابطة مع ثقافة المجتمع الواقعى إلى عدة عوامل. أبرزها ضعف دور مؤسسات التنشئة الإجتماعية التقليدية، وعجزها عن تشكيل ثقافة الشباب، فقد أصبح تفاعل شريحة من الشباب مع مضامين موقع "الفيس بوك" أكثر من تفاعله مع المحيطين به من أسرته. يضاف إلى ذلك إفتقاد هذه المؤسسات لقدرتها على رقابة الأنماط السلوكية الناتجة عن الإحتكاك بالعالم الخارجى من خلال المجتمع الإفتراضى. وترك ذلك لآليات التصحيح الذاتى التى يقوم بها كل شاب على حدة، إعتماداً على تجربته الشخصية. وقد تزامن ذلك مع إتجاه بعض الشباب إلى الإنعزال عن مجتمعاتهم، والإنكفاء خلف جهاز الكومبيوتر، الذى أصبح قناة عبوره إلى العالم الخارجى (40). وبذلك سقطت الثقافة عن أن تشكل منظوماتها القيمية مرجعية للسلوك الشبابى فى الواقع الإجتماعى او المجتمع الإفتراضى. وأصبحت القيم التى طورها الشاب على صفحات "الفيس بوك" هى التى شكلت مرجعية سلوكه.

لقد وجد الشباب فى مواقع المجتمع الإفتراضى وأبرزها "الفيس بوك" قناة للتعبير ومنفذا للإنتشار، وعرض وجهات النظر والآراء، إستناداً إلى مرجعية قيمية وأخلاقية إنتقوها من القيم المتاحة فى الفضاء العالمى أو طوروها بما يرئم طبيعتهم، بحيث لعبت هذه الشريحة دوراً أساسياً إستناداً إلى مرجعيتها فى إبراز البعد النقدى أو الرافض أحيانا للثقافة الشبابية الواقعية. ثم حاولت دفع النقد على صفحات "الفيس بوك" لكى يشكل طاقة دافعة لها تأثيراتها على تفاعلات وأحداث السياق الواقعى. ومن ثم فإذا كان بعض الشباب قد لجأوا إلى "الفيس بوك" للتعبير على صفحاته نتيجة لحرمانهم الواقعى، فإن ذلك كان لمرحلة إستداروا بعدها إلى الواقع بأفكارهم فى محاولة تغييره.

ولا يتوقف الأمر عند حد إضعاف الثقافة، بل يتسع التشوية ليشمل اللغة التى تعد وعاء التعبير عن الثقافة، حيث تراجع إستخدام اللغة العربية لصالح اللهجات العامية. بل والإتجاه نحو إستخدام مزيج من الحروف والأرقام الإنجليزية بديلاً عن الحروف العربية. ويحاول البعض تفسير هذا التراجع بسبب شعور الشباب بالإغتراب والرغبة فى التمرد على قيود الأباء ومن ثم لغتهم. بينما يرى البعض الآخر أن ظهور لغات جديدة للشباب هو أمر طبيعى يحدث من مدة لأخرى، وأن التعامل مع شبكة المعلومات ليس هو المسئول عن ذلك. حيث برز إتجاه إلى زيادة إستخدام اللغة الأجنبية أو بعض

الفاظها فى لغة الحياة اليومية، بسبب تأثيرات العولمة (41). بيد أننا نعتقد إلى جانب صحة التفسيرات السابقة أن مشاركة الشباب فى الواقع الإفتراضى من شأنه أن يتطلب ثقافة جديدة غير تلك التى تضبط التفاعلات الواقعية، ومن الطبيعى أن تتطلب هذه الثقافة بدورها لغة جديدة. وإذا كانت مشاركة الشباب فى المجتمع الإفتراضى تمثل فصلا جديداً فى علاقة الشباب السلبية بالمجتمع. فإن إبداعه لإشكال متتابعة من التعبير اللغوى يعد تعبيراً عن هذا الإنفصال، كما يعبر عن سعى دؤوب نحو إستكمال ملامح الهوية الشبابية.

ثالثاً: حراك الشباب من السياق الواقعى إلى المجتمع الإفتراضى

الذى لا شك فيه أن ثمة علاقة عضوية بين المجتمع الواقعى والمجتمع الإفتراضى، وأن الشباب هم حلقة الصلة بين المجتمعين، وفى هذا الإطار فإننا نستطيع أن نرصد الحركة الشبابية فى إتجاهين. الأول أنه بسبب عجز المجتمع الواقعى عن إشباع الحاجات الأساسية للشباب، وأهمها التعبير عن إحتياجاتهم وعن ذواتهم فيما يتعلق بقضايا السياق المحيطة بهم. بينما يشير الإتجاه الثانى إلى تحول الشباب إلى التعبير عن أنفسهم من خلال "الفيس بوك" كآلية لتغيير الواقع الإجتماعى، الذى خلفوه وراءهم وقطعوا روابطهم به. بداية لا بد أن نوضح أن ثمة إختلافات أساسية بين المجتمع الواقعى والمجتمع الإفتراضى الذى يتفاعل الشباب على ساحاته. حيث يشير الإختلاف الأول إلى أن تفاعلات المجتمع الواقعى تؤكد على التواجد الجسدى، بما للجسد من إشارات وإيماءات تلعب دوراً بارزاً فى التفاعل. بينما تفالاعلات المجتمع الإفتراضى ذات طبيعة عقلية بالأساس، إنه تفاعله بالصور والرموز ومقاطع الفيديو، وأحيانا تفاعلات بين شحصيات خيالية تخفى ذواتها أحيانا لتمارس الكذب والهروب. يضاف إلى ذلك أن التفاعل فى المجتمع الواقعى هو تفاعل فورى، الفعل ورد الفعل المباشر له، بينما فى المجتمع الإفتراضى نجد أن الإتصال غير مباشر، قد يصبح رد الفعل إنتقائيا وقد يصبح متأخراً ولا فوريا. بالإضافة إلى ذلك فإنه إذا كان التفاعل فى المجتمع الواقعى يتم متأثرا بمتغيرات السن والنوع ومستوى التعليم والحالة الإجتماعية والمستوى الإجتماعى الإقتصادى. فإن هذه المتغيرات تنتفى فاعليتها فى المجتمع الإفتراضى،

حيث يحدث التفاعل بلا متغيرات منظمة، أو من الممكن أن يحدث فى ظل رموز كاذبة عن هذه المتغيرات (42). على هذا النحو فإننا ندرك كلا المجتمعين من منطق الإستقطاب، وليس من منطق المتصل. ومن ثم فالإنتقال من المجتمع الواقعى إلى الإفتراضى، هو رفض للواقعى بكل خصائصه وتفاعلاته، وإقتراب من الإفتراضى والمشاركة فى نسج تفاعلاته. فحينما يستدير الشباب إلى المجتمع الواقعى، إنطلاقا من الواقع الإفتراضى، فإنه يسعى من وراء هذا التحول إلى نقد المجتمع الواقعى، حتى يمكن تطويره بما يساعد على إشباع حاجاته.

ذلك يطرح سؤالا، لماذا رفض الشباب للمجتمع الواقعى؟ الإجابة على ذلك تحتوى على بعدين، الأول بعد وجودى، ويتمثل فى أن الشباب بحكم طبيعته ونظرته المستقبلية غير قادر على التكيف الكامل مع المجتمع الواقعى فى الحاضر. فهو دائماً ينشد ما هو مثالى ويرفض ما هو واقعى وسلبى، أما البعد الثانى فيتمثل فى أن واقع مجتمعاتنا متخم فى العادة بالمشاكل التى تكون لها وطأتها الأكبر على الشباب. والقطيعة مع المجتمع الواقعى تبدأ من عجزة عن إشباع الحاجات الأساسية للشباب، كالحاجة إلى الوظيفة للمشاركة فى سوق العمل. والحاجة إلى الدخل لإشباع الحاجات الأساسية والحصول على فرصة مسكن وتشكيل أسرة، حيث يدرك الشباب أن رفاقهم الأكبر سنا منهم، ما زالوا يعانون من حالة الإحباط هذه. ومن ثم تتبلور لديهم حالة من القطيعة السيكلوجية مبكراً مع المجتمع. بالإضافة إلى ذلك يعانى الشباب من مشكلات الفراغ والتغييب والخضواع والتهميش وحرمانة من المشاركة فى مختلف المجالات (43). الأمر الذى يجعل الهروب إلى المجتمع الإفتراضى فرض عين أو فرض حياة بالنسبة للشباب. بالإضافة إلى ذلك فإنه إذا كان العجز عن التعبير السياسى هو احد دوافع الهروب إلى المجتمع الإفتراضى، فإن ذلك يرجع إلى أن الأحزاب الواقعية لا تستوعب الشباب، ولا تعمل بصورة منظمة على تربيتهم أيديولوجيا، كما لا تتيح لهم فرصة التعبير من خلال قنواتها، الأمر الذى يدفعهم إلى البحث عن قنوات جديدة من خلال "الفيس بوك" (44).

بالإضافة إلى ذلك يدرك الشباب أنه يتحرك فى نطاق مجتمع واقعى وعدائى فى ذات الوقت. حيث تتتابع دوائر العدائية لتدعم بعضها البعض وتؤدى إلى إرهاق

الشخصية الشابة. الدائرة الأولى حيث الأسرة، حيث يدرك الآباء أن التفاعل فى المجتمع الإفتراضى، الذى يشارك فيه الشباب غير محكوم بقيمهم، وربما لا يعرفون ما يمارس فيه. ومن ثم فهم يراقبون الأبناء وربما يتلصصون عليهم، وفى مقابل ذلك نجد أن الشباب، قد يترك لهم الصفحات التى إستطاعوا قراءتها لينشئوا مواقع جديدة موازية لها ولا يعلم الكبار عنها شيئا.

وبالإضافة إلى ذلك فإن التفاعل الواقعى فى نطاق الأسرة، يتم عادة فى ظل ثقافة قهرية، تؤكد على ضرورة إنجاز الواجبات المدرسية، أو البقاء فى نطاق الأسرة للتفاعل مع الآخرين فى ظل قواعد محددة. فالأسرة والمسكن بالنسبة لكثير من الشباب هو فضاء منظم تنظيما محكما يتأسس التفاعل والعلاقات فى إطاره فى ظل قواعد وأعراف صارمة، يشرف الكبار على تفعيلها بدقة (45). الأمر الذى يدفع الشباب إلى إختلاس الفرصة للهروب بإتجاه المجتمع الإفتراضى من خلال "الفيس بوك" (46). وفى هذا الإطار فإن أهم ما يميز شبكة المعلومات يتمثل فى أنها تتيح للشباب أن يشاركوا فى تبنى مواقف من القضايا العامة، التى إحتكرها الكبار. وهم فى مواقعهم على ساحة الفضاءات المادية المنظمة للكبار مثل البيوت والمدارس، بحيث يصبح هذا السلوك فى حد ذاته موضع تفاعل بين الشباب والكبار. فالولدان يسعيان إلى تنظيم سلوك الشباب فى هذا الفضاء الألكترونى الجديد، بحيث يؤدى ذلك بدوره إلى دفع الشباب إلى إخفاء تفاعلاتهم على ساحة الفضاء الإفتراضى (47).

الدائرة العدائية الثانية التى تتعامل مع الشباب هى التى تضم الكبار الذين ينتمون إلى التنظيمات الوسيطة، المدرسة والنادى الرياضى والمؤسسة الدينية. جميعها مؤسسات تفرض النظام، كما تفرض على الشباب أن يكون سلوكهم فى هذه المجالات وفق قواعد محددة وصارمة، وذلك إنطلاقا من قناعة لدى العاملين أو المشرفين على هذه المؤسسات، بأن الشباب ملائكة وشياطين فى نفس الوقت. فهم ملائكة لأنهم يمتلكون البراءة التى قد توردهم موارد التهلكة والخطأ أو الإنحراف دون قصد منهم، وهم شياطين لأنهم يأتون سلوكيات غير ملتزمة بأعراف المجتمع، ولديهم قابلية نشر الفوضى فى إطاره. ومن ثم فهم بحاجة إلى متابعة ورقابة وحماية، ولذلك فإنه من الضرورى تقييد سلوكهم حتى لا يضروا بأنفسهم أو يعملوا على هز إستقرا المجتمع. وهو ما

يؤسس الصراع بين الشباب والكبار، ويزداد هذا الصراع ضراوة إذا تمسك الكبار بالتراث المتدفق من الماضى والذى يساعد فى الحفاظ على الإستقرار. الشباب الذين يعيشون حالة تسارع التغير وتدفق المعانى فى الحاضر، الأمر الذى يجعل الواقع الإجتماعى من وجهة نظر الشباب – على عكس تصورات الكبار – فى حالة من الدينامية والسيولة. بحيث يصبح الهروب إلى المجتمع الإفتراضى ضرورة لتفاعل يلائم الشباب، حيث لا قيود وإذا كانت هناك قيم تنظم التفاعل، فهم الذين إبتدعوها وبإمكانهم تغييرها، فهم صانعوا التفاعل على صفحات "الفيس بوك"، وهم القادرون على تغييره وإعادة صياغتة.

ويشكل النظام السياسى الدائرة العدائية الأوسع التى يفر من أسرها الشباب، ليمارسوا حريتهم على مساحة المجتمع الإفتراضى. وفى نطاق هذه الدائرة، تناقش علاقة شباب "الفيس بوك" بالأحزاب السياسية، ثم العلاقة المتبادلة بين السلطة وشباب "الفيس بوك"، ثم السياسات التى تتبعها الأنظمة العربية فى مواجهة شباب الفيس بوك. وفيما يتعلق بالأحزاب السياسية فإننا نجدها تكوينات هشة، لم تتسع لجذب الشباب. وعلى هذا النحو فطالما أن الأحزاب قد فشلت فى تشكيل معارضة قوية ذات قيمة للحزب الحاكم، فإن شباب "الفيس بوك" قدموا أنفسهم كبديل للأحزاب السياسية كتعبير عن المعارضة والتنفيس عن الغضب. فى هذا الإطار يرى شباب الفيس بوك أن الأحزاب السياسية أصبحت "دقة قديمة" والإنضمام إليها يخلو من "الروشنة". وفى ذلك يقول أحد الشباب "أننى أستطيع آداء دورى الوطنى وأنا فى البيت مستلقيا "بالبيجاما" على السرير وبجانب اللاب توب" (48). بهذه المفاهيم البريئة والساذجة وجة شباب "الفيس بوك" ضربة تحت الحزام لمجمل التجربة الحربية فى مصر، وكشفت عن مدى ضعف البنية المؤسسية التى توشك على الإنهيار فى مختلف القطاعات. وأثبت "الفيس بوك" أنه أصبح منافساً شرسا للمؤسسات الحزبية الوطنية، العلنية منها والسرية، فهو الحزب الذى إستطاع أن يجتذب العشرات من الآلاف من الشباب بدون أى غطاء أيديولوجى أو أسس فكرية يستند إليها (49).

وإذا كان النظام السياسى قد شكل أحد قطاعات الدائرة العدائية فى مواجهة شباب "الفيس بوك" فإن ذلك يتأكد من خلال إشارة أحدى الدراسات إلى أن موقع "الفيس بوك" يعتبر إمتداداً لحركة التدوين فى مصر، إضافة إلى أن لديه مساحة حرية أكبر مقارنة

بالمدونات للهروب من مراقبة الحكومة مما أفقدها السيطرة عليه وعلى أعضائه... إرتباطا بذلك ينصح أحد المحامين شباب "الفيس بوك" بقولة "أطالبكم بتسهيل مهمة الدفاع عنكم أما القضاء، بإستخدام الفاظ فى التعبير عن الرأى لا تضعكم تحت طائلة القانون، كما أطالبكم بالتخطيط لانتخابات موازية لإنتخابات الحكومة من خلال الإنترنت، للهروب من أبداع الحكومة فى عملية تزوير الإنتخابات. وأخيراً أتمنى أن تكثفوا جهودكم لمواجهة ليس التشريعات الجديدة فقط، وإنما طريقة تعديلها التى تظل فى الظلام حتى لحظة إقرارها" (50). ولتوجية النقد للأنظمة السياسية فقد طور شباب "الفيس بوك" حائطا ليكتبوا عليه جميع ما يجول بخاطرهم، كما تحدث فى أرض الواقع، حيث يستيقظ أهل المدينة ليجدوا على الحائط كلمات جديدة، إما ضد السلطة أو ضد كل ما هو عدائى للمجتمع والشباب (51). بحيث دفع ذلك بعض السلطات إلى تكثيف الجهود الأمنية لتعقب شباب "الفيس بوك" كما حدث فى سلوك الأجهزة المصرية فيما يتعلق بالدعوة إلى إضراب 6 إبريل. أو ما قامت به سوريا حينما حجبت موقع الفيس بوك الذى إشترك فيه 28 ألف خلال عدة شهور، جميعهم من الإعلاميين والفنانين ورجال الأعمال وأغلبهم من الشباب، ليس بسبب الثغرات الأمنية التى يحتويها الموقع، ولكن بإعتبار أن هذه الخطوة من قبل النظام السورى، تشكل حلقة فى مسلسل الحجب الذى طال عدد من المواقع الإخبارية والصحف العربية والدولية. وأيضا لأن "الفيس بوك" شكل متنفساً لعدد كبير من الشباب السورى، وفرصة للتعبير عن آرائهم فى القضايا السياسية والإجتماعية والثقافية بعيداً عن مقص الرقيب. حيث تجلى ذلك حينئذ من خلال إنشاء عدد كبير من المجموعات مثل "إلغاء عقوبة الإعدام فى سوريا" و "نحو مجتمع علمانى" و "لا لحجب مواقع الإنترنت فى سوريا". ومن الواضح أن الحكومة السورية – كأغلب الحكومات العربية – قامت بحجب منتدى "شبابلك" الذى يضم أكثر من 57 ألف عضواً. الأمر الذى أثار تساؤلا أمام عدد كبير من الشباب السورى، حول إستمرار النظام فى حجب مواقع عالمية مثل "يوتيوب" و "بلوغ سيوت"، إضافة إلى عدد من الصحف والمواقع الإخبارية العربية، كصحيفة الشرق الأوسط اللندنية وصحيفة النهار اللبنانية، فضلا عن صحيفة إيلاف الألكترونية (52).

وإذا كان الشباب قد إتجهوا إلى مواقع المجتمع الإفتراضى هروبا من الواقع لتطوير ثقافة نقدية يعبروا من خلالها عن الكبت المفروض عليهم بواسطة الأوضاع السياسية والإقتصادية والإجتماعية السائدة فى المجتمعات العربية. حيث يناقشون بدرجة من الحرية غير المسبوقة قضايا الشأن العام والتعبير من خلال ما هو مكتوب بعيداً عن قيود البيئة التسلطية التى رسختها معظم النظم الحاكمة. بذلك يكون موقع "الفيس بوك" قد قدم فرصة جديدة لم تكن موجودة للشباب الذى تم تهميشة، يناقش بحرية الأزمات والمشاكل التى تعانى منها مجتمعه بدون محرمات تقليدية، بإستثناء ما يستحدثة الشباب لتنظيم أنشطتهم. حيث إقتحمت صفحاتهم محرمات السلطة والدين والجنس، على نحو أصبح معه المجتمع والنظام السياسى مكشوفا وبدون ورقة توت. وتزامن ذلك بالطبع مع نشاط الفضائيات والصحف الخاصة التى شكلت تحالفا مع شباب الإنترنت لتعرية الدولة وكشف مشاكلها الحقيقية (53).

ذلك يعنى أن موقع "الفيس بوك" يشكل رقابة على آداء الدولة وسلوك النظام السياسى يتنامى دوره ويتسع، ويؤدى وظيفة المعارضة الحقيقية، فى حرية بلا قيود، وبلا مطامع أن تحصل على "لقمة" كعكة السلطة. الأمر الذى نتصور فيه أن تزداد فعاليتها بتراكم آدائها، إضافة إلى إنتشار تكنولوجيا المعلومات الحديثة بين شرائح تتسع فى المجتمع. إرتباطا بذلك فإننا نتوقع فيه أن تسلك الدولة العربية أحد ثلاث سيناريوهات. حيث يتمثل السيناريو بالسلوك غير الرشيد لبعض الأنظمة العربية، والذى يتجلى عدم رشدة فى بقاء الأنظمة السياسية صامتة فى مواجهة ما يحدث على صفحة "الفيس بوك" والمواقع الأخرى. من إنتقادات وتقييمات لسياساتها منطلقة من إحساس شباب "الفيس بوك" بالحرية المفرطة، فى طرح القضايا وتحليلها على صفحاتهم. بحيث تصبح شرعية هذه النظم فى خطر حقيقى، فهى معرضة للتآكل نتيجة لعجزها عن إستيعاب التيارات الشبابية الجديدة، التى رفعت سقف توقعات المواطنين ومطالبهم من النظام السياسى. ومن المدهش والمثير للسخرية أن تسعى هذه النظم لمواجهة تآكل الشرعية باللجوء إلى مزيد من فرض القيود على حرية التعبير، بل ومساءلة وإعتقال بعض الناشطين من الشباب والتضييق عليهم بواسطة الأجهزة الأمنية.

وإذا كان السيناريو السابق يتسم بالتشاؤم فإن السيناريو الثانى يتسم بالتفاؤل، حيث تراهن بعض النظم السياسية على نجاح الحركات الشبابية الجديدة، التى يقودها مبدعين إجتماعيين ونشطاء شبابيين على قدر عالى من الثقافة والخبرة. والذين يمكن أن يلعبوا دوراً فى تغيير أوضاع المجتمعات العربية، من خلال السماح لهم بقدر من الحرية فى التعبير، عن قضايا ومشاكل إجتماعية وسياسية تتفاعل معها هذه النظم بإيجابية. غير أن فرص نجاح هذا السيناريو غير مضمونة، لأن ذلك يعتمد على قدر تماسك هذه الجماعات الإفتراضية من ناحية. والإستراتيجيات التى سوف يتبعها كل نظام سياسى على حدة، إضافة إلى قدر الرشد الذى سوف يكتسبة سلوك الأنظمة السياسية فى مجتمعاتنا. ويتجة السيناريو الثالث إلى تشكل التآلف الثالث للسيناريوهين السابقين المتناقضين. حيث يجمع هذا السيناريو بين الإتجاه إلى الدمج الحقيقى للشباب النشط فى حركة المجتمع، من خلال العمل بمضامين النقد والإعتراض التى تتجلى على صفحاتهم فى "الفيس بوك" والمواقع الإفتراضية الأخرى. واللجوء فى أضيق الأحوال بإتجاه التضييق فيما يتعلق بمناقشة بعض القضايا الحساسة، خاصة فيما يتعلق بالجوانب الأخلاقية للمجتمع. فإذا تبنت الأنظمة السياسية هذا السلوك الرشيد، فإن ذلك من شأنه أن يدفع شباب "الفيس بوك" والمواقع الأخرى إلى البعد عن التطرف، والعمل إنطلاقا من المنطقة الوسط (54).

رابعاً: تحولات المجال العام فى المجتمع الإفتراضى

يعتبر عالم الإجتماع جيرجون هابيرماس إبرز من تولى بلورة مفهوم المجال العام، الذى راى فيه الفضاء الذى يتوسط بين مجال السلطة العامة من ناحية والمجال الخاص، الذى قد يؤكد على الأسرة وشئون الأفراد الخاصة من ناحية ثانية. وفى نطاق المجال العام – كما تبلورت حدودة فى الديموقراطيات الغربية – كانت تمارس المناقشات حول السياسات الحكومية، وعلى ساحته تتبلور إتجاهات الرأى العام. وقد عرف هابيرماس المجال العام بأنه" مجتمع إفتراضى أو خيالى ليس من الضرورى أن يتواجد فى مكان معروف أو مميز. فهو يتكون من مجموعة من الأفراد الذين لهم سمات مشتركة

مجتمعين مع بعضهم كجمهور (55)، يتفاعلون مع بعضهم على قدم من المساواة حول قضايا مشتركة.

فى هذا الإطار تشير كلمة عام إلى السياقات التى يمكن لأى شخص أن يشارك فيها. دون أن يكون المشاركين فيها على معرفة ببعضهم البعض. وبرغم ذلك فإنهم يتقاسمون فهما عاما للعالم المحيط بهم، وهم يطورون هوية مشتركة، تطور إهتماما جمعيا بنصوص مشتركة، سواء كانت هذه النصوص تعبر عن رؤية كونية أو قضايا محددة أو أفعالا وأحداث معينة (56)، كما يعنى العام فى المجتمع الإفتراضى انه متابع من قبل كل فرد (57). على عكس ذلك يشير تعبير المجال الخاص إلى السياقات المحدودة كالأسرة والجماعة الإثنية، حيث تسود فى هذا المجال تفاعلات محكومة بمنظومة قيم ضابطة للآداء فى نطاق هذا المجال الخاص. ومن حق أفرادها التفاعل بشأن قضايا المجال الخاص، وليس من حق الآخرين خارج هذه السياقات الخاصة ان يشاركوا فى تفاعلاتها أو مناقشة قضاياها.

غير اننا إذا تأملنا الأمر بالنظر إلى موقع "الفيس بوك" والمواقع الأخرى، الكائنة على ساحة المجتمع الإفتراضى، فإننا سوف نلاحظ بروز مجموعة من التحولات الأساسية على كل من المجال العام والمجال الخاص. من هذه التحولات ظهور ما يمكن أن يسمى بالمجالات الوسيطة، وهى المجالات التى تتجاوز كثيراً المجال الخاص وتقع ساحاتها دون المجال العام. ويمكن تحديد المجالات الوسيطة بانها المجالات التى تقع بين المجال الخاص والمجال العام، وفى العادة تضم المجالات الوسيطة عدة أنماط من المجالات. الأول هو المجال الوسيط الخاص بفئة أو فئات معينة، إذ نجد على "الفيس بوك" جماعات متنوعة، سياسية وثقافية وترفيهية وإجتماعية، كل جماعة لها قضايا الخاصة بها غير أنها قضايا مطروحة طرحاً عاما ولكن فى حدود الجماعة ذاتها، حيث يمكن الدخول فى هذا المجال لكل من تتوفر له صفات أو أهلية المشاركة. فى هذا المجال يتم التفاعل والحوار لتطوير رأى عام وسيط خاصة بجماعة معينة، غير أنها جماعة تشكلت تشكلا إراديا وطوعيا، وتتفاعل على قدم من المساواة، وإن كانت غالبها من الشباب. ويتمثل النوع الثانى من المجال الوسيط، بذلك المجال الذى يحتوى على جمهور يتفاعل بشأن قضية معينة أو يشكل رأى عام بشأنها. ومثال على ذلك أنه إذا

طرحت قضية تتعلق "بالتحرش الجنسى" مثلا فإننا نجد أن نسبة من زوار موقع "الفيس بوك" يناقشون هذه القضية، ويطورا رؤية عامة مشتركة بشأنها. وبذلك، فإن تعبير المجال الوسيط هنا يقتصر على قضية أو قضايا معينة دون أن يشمل الحوار قضايا أخرى. وفى هذا الإطار من الممكن إعتبار المجال العام الذى يتيحة موقع "الفيس بوك" هو مجال وسيط، بإعتبار أن المنتمين له من شباب هذا الموقع الذين لا يتجاوز عددهم 2,5 مليون. وهم بالأساس من أبناء الشرائح العليا للطبقة الوسطى وأبناء الطبقة العليا، وهم بالنظر إلى حجمهم العددى، وأيضا خلفياتهم الطبقية لا يمكن أن يشكلوا مجالاً عاما، بل نجدهم يشكلون مجالاً وسيطا بإمتياز، لأن هناك فئات أخرى يمكن أن يكون لها مجالاتها الوسيطة كذلك.

ويتمثل التحول الثانى فى ظهور ما يمكن أن يسمى بالمجال أو المجال الأعم، ويتجاوز هذا المجال الأعم المجال العام بإعتبار أن الأخير فى مكوناته يتطابق مع النسق القومى، أو المجتمع القومى. غير أننا إذا نظرنا إلى نظامنا العالمى المعاصر، فسوف نجد تراجعا نسبيا للدولة القومية والمجتمع القومى المحتفظ بحدودة. وبروز ما يمكن أن تسمى بالمجتمع العالمى، أسسته قوى العولمة، ولعب الإعلام وتكنولوجيا المعلومات دوراً محوريا فى تجسيد وجوده. بحيث أصبح لهذا المجتمع العالمى مجاله الأعم الذى تطرح فى إطاره قضايا قد تتصل بالنظام أو المجتمع العالمى ذاته كتلك المتصلة بالأزمة الإقتصادية العالمية. أو الهجرة غير المشروعة، أو حالة الديموقراطية وحقوق الإنسان. بحيث تناقش مثل هذه القضايا فى هذا المجال ويتم تطوير رأى عام بشأنها، يشارك فى هذا الرأى العام شرائح معينة فى مختلف المجتمعات القومية، وتتفاعل بشأنها لتشكل قوة ضغط تدفع التفاعلات فى إتجاهات معينة.

ويتصل التحول الثالث بأن المواقع الألكترونية، من بينها موقع "الفيس بوك" قد لعبت دوراً أساسيا فى فرص تآكل المجال الخاص لصالح المجال العام. وفى أحيان أخرى تتم حركة عكسية، حيث تآكل المجال العام لصالح المجال الخاص. فى الحالة الأولى نجد أن كثيراً من القضايا التى ينبغى أن يتم التفاعل بشأنها داخل الحياة الأسرية أو فى حدود ذات الفرد تنتقل لتصبح موضع حوار فى المجال الوسيط أو المجال العام. فالحديث عن جمود الآباء على موقع "الفيس بوك" أو عن شكهم فى أبنائهم حينما

يجلسوا إلى جهاز الحاسب الآلى للإتصال بالمجتمع الإفتراضى. هو نزع لآحدى قضايا المجال الخاص لتناقش فى المجال العام. وحديث أحدى الفتيات عن تحرش جنسى حدث لها، ونشره على "الفيس بوك" هو تحويل أو نقل لقضية خاصة إلى المجال العام. وقد يسر تآكل المجال الخاص لصالح المجال العام، الدور الذى يلعبه الإعلام المعاصر وتكنولوجيا المعلومات الحديثة فى التنشئة الإجتماعية. حيث تتم التنشئة فى إطاره وفق قيم عامة وليست خاصة، فقد أنتهى العصر الذى كانت فيه الأسر تحتكر عملية التنشئة الإجتماعية أو الجماعة الإثنية تنشئة الأبناء وفق قيم معينة. لأن الإعلام وتكنولوجيا المعلومات همشت تأثير هذه المؤسسات الأولية والتاريخية. يضاف إلى ذلك التحولات التى طرأت على بنية الأسرة ذاتها، فقد أصبحت أعجز من أن تكون مجالاً للتنشئة الإجتماعية او أعجز من أن تشكل إطاراً لخصوصية بعض القضايا. ويتصل العامل الثالث لتآكل المجال الخاص بمجموعة الأصدقاء مرتادى موقع "الفيس بوك" والذى يطرحون ما هو خاص بهم بصورة متطرفة، ليصبح موضوعاً للنقاش العام. على سبيل المثال المطالبون بالمثلية الجنسية والشذوذ، بحيث نجد أن طرح مثل هذه القضايا ليتشكل بشأنها رأى عام فى العلن، بعد أن كانت فى ظل القيم التقليدية من السلوكيات الأشد خصوصية.

ويتصل التحول الرابع بأننا إذا تأملنا القضايا التى تناقش فى المجال العام للمجتمع الإفتراضى، فإننا سوف نجد أن المتفاعلين على ساحة "الفيس بوك" والمواقع الألكترونية الأخرى بدأوا يطورون من منظومات قيمية تعد مقابلة لمنظومات القيم السائدة فى المجتمع الواقعى. ويرجع ذلك لإنتماء منظومتى القيم إلى أنماط مختلفة من المجتمعات. منظومة القيم فى المجتمع الواقعى، هى منظومة قيم تطورت عبر تشكل التراث الثقافى للمجتمع. وهو تراث من صنع الكبار الذين يميلون إلى تطوير منظومات قيم تضبط التفاعل حفاظاً على الإستقرار الإجتماعى، ومن ثم نجد أنها منظومات تتسم بالتقليدية والمحافظة. والتغيير فيها يتم فى حدود ضيقة على ما يذهب التراث السوسيولوجى، فهى من إبداع الكبار، ومسئولية الكبار الحفاظ عليها كذلك. على خلاف ذلك نجد أن منظومات القيم التى بدأت تتبلور على ساحة المجتمع الإفتراضى من خلال المواقع المختلفة، هى منظومات قيم جذورها فى الغالب مشدودة إلى العالمية، أو العولمة، ثم

أنها منظومات قيم من صنع الشباب. ولأن الشباب هم مبدعوها ولأنها تتشكل فى عالم متسارع التغير، فإننا نجد أن مضامينها رافضة للإستقرار وتميل إلى التغير كذلك، وليس من الضرورى أن يتم العمل وفقا لها على قاعدة الإتفاق العام، كما هى الحال بالنسبة لمنظومات القيم فى المجتمع الواقعى. إذ تخضع منظومات فى المجتمع الإفتراضى لحالة من التفكيك الذى يشكل السمة الغالبة لمجتمعات ما بعد الحداثة.

ويشير التحول الأخير والخامس إلى أن التفاعلات الحادثة على موقع "الفيس بوك" والمواقع الإفتراضية تشكل نوعاً من المعارضة الإجتماعية والثقافية. المعارضة للتفاعلات ومنظومات القيم والسلوكيات التى تقع فى مختلف المجالات. ويرجع تميز التفاعلات الحادثة فى المجتمع الإفتراضى بالطابع المعارض إلى ثلاثة أبعاد، الأول يتمثل فى أن الشباب هم الذين يوجهون التفاعلات وهم الذين يطورون القيم فى المجتمع الإفتراضى. نموذجا لذلك موقع "الفيس بوك" حيث نجد أن الشباب على صفحات "الفيس بوك" بطبيعتهم رافضين للمجتمع الواقعى التقليدى، لأنهم وإن كانوا يعيشون فى الحاضر إلا أن فاعليتهم الحقيقية فى المستقبل. ومن ثم – حسبما يذهب التراث النظرى – فإنهم يميلون إلى تقليص الحاضر لصالح المستقبل، ومن ثم فهم على رفض ضمنى له، خاصة أنهم على خلاف الكبار لم يستوعبوه بصورة كاملة داخل ذواتهم. بينما يذهب البعد الثانى إلى أن الشباب، بخاصة فى المجتمعات النامية والمتخلفة يعيشون فى ظل حالة من عدم إشباع الحاجات الأساسية. إبتداء من الحاجة إلى العمل والدخل، وحتى الحاجة إلى التعبير والمشاركة، الأمر الذى يعنى أنهم رافضون للمجتمع الواقعى القائم. ومن ثم فهم يقفون من خلال موقع "الفيس بوك" والمواقع الألكترونية الأخرى موقف المعارضة لكل تكوينات المجتمع الواقعى تقريبا. إبتداء من الثقافة والقيم، ومرورا بطبيعة التفاعلات المتصلة بنوعية الحياة، وحتى ممارسات النظام السياسى. فى حين يتصل المصدر الثالث لنمو المعارضة فى كون الشباب أصبحوا منفتحين من خلال تكنولوجيا الإعلام والمعلومات على العالم الخارجى، بخاصة المجتمعات المتقدمة والمسيطرة على هذه المواقع والشبكات، يطلعون على نوعية الحياة فيها، وعلى الثقافة والقيم المنظمة للتفاعل فى إطارها، وعلى إتساع مساحة إشباع الحاجات فى نطاقها. وهو ما يعبر عن ظاهرة الإختراق الثقافى من خلال تكنولوجيا الإعلام والمعلومات، بحيث يستوعبها

الشباب لتشكل مرجعيته فى رفض مختلف عناصر التفاعل الواقعى. وبذلك تصبح المعارضة الشبابية لما هو قائم فى مختلف المجالات رأس حربة لتفكيك المجتمع الواقعى. بهدف القضاء على بعض تكويناته الثقافية والإجتماعية والسياسية، فكان السياق الواقعى بسبب ظروفه السلبية هو الذى دفع الشباب إلى السياق الإفتراضى ليطور أفكارهم ومعارضتهم بهدف تغيير السياق الواقعى. ونحن إذا تأمنا المعارضة الشبابية فسوف نجد أنها تتضمن منظومات قيم وسلوكيات ثقافة، تدفع إلى تغير التفاعل الحادث فى مختلف المجالات وفقا لمضامينها الأساسية.

على هذا النحو يشكل موقع "الفيس بوك" والمواقع المناظرة، مجتمعا مدنيا خاليا من المعانى والقيم الإرثية والإثنية، التى تؤثر على تفاعلات المجتمع الواقعى فى إطاره. حيث يعبر الشباب والملتحقين الآخرين بالموقع عن أنفسهم فيما يتعلق بقضايا إجتماعية وإقتصادية وثقافية وترفيهية متنوعة. فى إطار "الفيس بوك" تناقش مختلف القضايا بلا قيود، وفى هذا النطاق تقتحم محرمات المجتمع الدين والجنس والسياسة كما أشرت. بالإضافة إلى ذلك ولإبراز المعارضة تتشكل مجموعات حول شخصيات متنوعة، إبتداء من الشخصيات التى لها علاقة بالشباب فى المجال الفنى، وحتى الشخصيات السياسية التى تثير إعجاب الشباب بآدائها. وبرغم أن حرية التعبير متاحة على صفحات "الفيس بوك" وبرغم القيم والمعايير التى بدأت تتشكل فى إطار هذا التجمع المدنى فى الواقع الإفتراضى. وأبرزها أن يكون النقد موضوعيا او على الأقل يعبر عن وجهة نظر الذات، ولكن بدون "شتائم" (58) حسبما يؤكد المتفاعلون مع الآخر على أساس من المساواه وبدون أى متغيرات فاصلة كما يحدث فى المجتمع الواقعى، أو حتى مع الآخر على الصعيد العالمى (59).

خامساً: القيم الثقافية والسياسية لشباب الفيس بوك.

فى محاولة التعرف على منظومات القيم الموجهة لسلوكيات المشاركين على صفحات الفيس بوك فإننا ندرك هذه القيم من خلال القضايا التى تثار على هذه الصفحات. بيد أننا قبل أن نعرض لهذه القيم الثقافية فإننا نشير إلى أربعة ملاحظات، الملاحظة الأولى أن تطوير شباب "الفيس بوك" لبعض القيم التى يتعاملون وفقا لها،

وتوجه سلوكياتهم، أنما هى فى جانب كبير منها إنعكاس لقيم واقعية رآها الشباب مقيدة لتفاعلاتهم وسلوكياتهم، او أنها قيم مرفوضة بحكم طبيعتهم الشبابية. بينما تشير الملاحظة الثانية إلى أن بعض القيم التى أعلنها شباب "الفيس بوك" تعتبر مؤشراً لحجم الإختراق الثقافى الذى حدث لثقافتنا ولنوعية حياتنا الإجتماعية. حيث وجدنا شرائح وجماعات من الشباب يطالبون ببعض القيم التى تتناقض مع مرجعيتنا الثقافية والأخلاقية كمطالبة بعض الشباب مثلاً بإباحة "الشذوذ الجنسى". وهو ما يعنى أن صفحات "الفيس بوك" وإن كانت تتعامل مع قيم واقعية رأتها سلبية، إلا أنها تعد فى ذات الوقت نافذة لتدفق قيم ينبغى الحرص على منظومات قيمنا الثقافية من الخضوع لإختراقاتها. يضاف إلى ذلك ملاحظة ثالثة تتعلق بأن القيم التى طورها شباب "الفيس بوك" تغطى تقريبا مختلف مجالات الحياة الإجتماعية. وإذا كانت هناك بعض المجالات التى لم يتم التطرق إليها، فإن ذلك لحداثة الدخول على صفحات "الفيس بوك"، أو لضآلة عدد المتعاملين مع الموقف. لأن الدخول إليه يتطلب تجهيزات وإمكانيات مادية قد لا تكون فى متناول شرائح إجتماعية واسعة وغالبة. أما الملاحظة الرابعة، فإننا سوف نعرض لهذه الملاحظات على أساس من طبيعتها الأساسية مصنفة على هيئة متصل، القيم السياسية –الترفيهية، الذى يبدأ من القيم السياسية ثم الإجتماعية ثم الإقتصادية ثم الثقافية ثم الترفيهية، ونعرض فيما يلى لمجموعات القيم هذه.

1- القيم السياسية لشباب الفيس بوك: برغم أن هناك بعض الدراسات التى تؤكد على عدم إهتمام شباب "الفيس بوك" والمواقع الألكترونية أخرى بالسياسة، تأكيدا لذلك أن نسبة 86% من الشباب على موقع "الفيس بوك" لا يفضلون الإشتراك فى موضوعات ذات طبيعة سياسية (60). غير أننا برغم ذلك نجد أن عدد المجموعات التى تهتم بالقضايا السياسية تصل إلى نحو خمسمائة مجموعة سياسية. تمارس السياسة بكل أطيافها وتنوعاتها وتتراوح توجهاتها من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار، حيث يظهر فيها أصحاب الأصوات المكتومة على أرض الواقع. والتى أصبح الشباب شديد الإهتمام بها خصوصاً مع وجود جبهات معارضة لها ووجودها فى الشارع. ويعكس إرتفاع نغمة المعارضة السياسية من خلال الوسائط الألكترونية "كالفيس بوك" إهتمام الشباب الغربى المحدود بالقضايا السياسية. على عكس ذلك نجد أن الشباب فى مجتمعاتنا هم الأكثر

إهتماما بالقضايا السياسية. وذلك بسبب عوامل عديدة، من هذه العوامل أن الأبنية الحزبية فى مجتمعاتنا غير قادرة على إستيعاب شريحة الشباب، وهى فى الغالب أبنية نخبوية كسولة. وبسبب كسلها أصبح لجماعة الأخوان المسلمين إمتدادها فى الشارع المصرى، وللحزب الوطنى إمتداده المفروض كذلك. ومن ناحية ثانية فإننا نجد أنه برغم إتاحة الفرصة للمعارضة من خلال المجتمع المدنى والصحافة المستقلة، إلا أن النظام السياسى متمترس خلف قناعاته، يدرك أن المعارضة والآخرين على خطأ، ومن ثم ينبغى عدم الإستماع إليهم وإن أمكن ملاحقتهم وإعتقالهم. نوع من الديموقراطية المدهشة، أن تفتح النظم السياسية نسبيا باب حرية التعبير، غير انها لا تستفيد من مضامين التعبير، كأنما ساحة الوطن متروكه لكل يفعل ما يريد. ومن ناحية أخرى تحريم التعبير السياسى الصريح أحيانا، كما هى الحال بالنسبة لإنتخابات الإتحادات الطلابية لشباب الجامعات، حيث التدخل احياناً لكى تفرز إنتخابات الإتحادات الطلابية ذوى توجهات أيديولوجية معينة بينما، تستبعد آخرين ذوى التوجهات الأيديولوجية المخالفة. وهى الظروف التى قد تدفع لإشتعال جذوة المعارضة الشبابية، وهى وإن كانت معطلة فى الواقع، فإن البديل هنا يتمثل فى "الفيس بوك" الذى يصبح منبراً لقوى الرفض الشبابية فى الواقع، حيث يصبح موقعا يتاح فيه التعبير بدون قيود أو عوائق.

فإذا حاولنا تأمل المنظومة القيمية والثقافية التى تشكل مرجعية شباب "الفيس بوك" لممارسة المعارضة السياسية، فسوف نجدها خليطا من مجموعة من العناصر. أبرز هذه العناصر الطابع الراديكالى لهذه القيم، وهو ما يتسق فى الغالب مع الطبيعة الشبابية، التى تميل إلى الرفض والتمرد، وبسبب ذلك كانت راديكالية هذه المرجعية. من هذه العناصر إدرك الشباب للقيود المفروضة على التعبير، الأمر الذى يؤجج حرية التعبير على صفحات "الفيس بوك". بيد أن أننا نلمح بعض منظومات القيم التى يتم تداولها فى الثقافة السياسية المصرية كالحديث عن تداول السلطة" وعن "التوريث"، وعن ضرورة التغيير فى بنية النظام السياسى. بالإضافة إلى ذلك فإننا نجد بعض العناصر القيمية التى تعبر عن مازق الطبقة المتوسطة. وهى القيم الرافضة على مرجعية أزمة ومأزق هذه الطبقة، والتى تقف نسبيا موقف عدائيا من النخبة السياسية والإقتصادية، لإعتقادها انها سبب ازمتها. يضاف ذلك إلى عنصر طرأ على واقعنا الإجتماعى بفعل

إختراقات العولمة لفضاء ثقافتنا السياسية، وهو العنصر المتعلق بالقيم الديموقراطية، والتأكيد عليها. وكذلك قيم ضرورة إحترام حقوق الإنسان، خاصة أن بعض النظم السياسية العربية موضوعة فى مأزق بالنسبة لهذه القضية. يضاف إلى ذلك التأكيد على قيم الشفافية، وهى القيم التى تبرز إنعكاساً لسلوكيات وثقافة الفساد، التى أصبح لها وجودها البارز فى الشارع المصرى. بالإضافة إلى ذلك يوجد بعد قوى يؤكد على قيم المواطنة المتساوية بين أبناء الشعب الواحد. وإستناداً إلى هذه المرجعية ترفض الفتن الطائفية، وترى أنها غريبة على مجتمعنا، تقع إما بسبب السلوك الرخوة للنظام السياسى، أو بسبب الأزمة التى تمر بها الطبقة الوسطى. وهى الأزمة التى تنجلى من خلال وقوع إنفجارات متنوعة تعبر عن تهتك نسيج بنية الطبقة الوسطى. على هذا النحو فنحن أمام منظومة قيمية ذات طابع سياسى قوى، وذات مسحة شبابية راديكالية شفافة. تعبر فى الغالب عن ثقافة شباب الطبقة الوسطى التى تعيش فى أزمة ومأزق تؤكد على أهمية تداول السلطة ورفض التوريث. كما تؤكد على الديموقراطية وحقوق الإنسان والمواطنة المتساوية وترفض الفساد والتشرذم الوطنى، كما ترفض المنطق الأمنى فى معالجة القضايا الوطنية، وإستتباعا لذلك ترفض الإعتقال والمعتقلات.

على هذا النحو نجد أن منظومة القم السابقة توجة عديداً من الممارسات على صفحات "الفيس بوك". فعلى صعيد البنية الحزبية نجد أن الشباب من خلال موقع "الفيس بوك" يقفون موقفا مضاداً لكل من الحزب الوطنى والأخوان المسلمين ويضعونهما فى سلة واحدة. فمثلا نجد مجموعة ظهرت على صفحات "الفيس بوك" بعنوان "معا ضد الحزب الوطنى الديموقراطى الحاكم فى مصر" وهى مجموعة يصل عددها إلى نحو مائة ألف فى مقابل مجموعة مضادة "مع الحزب الوطنى الديموقراطى الحاكم فى مصر" ويصل عدد أفرادها إلى ثلاثة أفراد فقط. فى مقابل مجموعة ثالثة ترفض جماعة الأخوان المسلمين بعنوان "مش عايزين أخوان، حيث تضم هذه المجموعة ثلاثة آلاف مشترك، يؤسسون رفضهم لجماعة الأخوان المسلمين، بإعتبارهم جماعة دينية تستهدف الوصول إلى السلطة (61). ولا يعنى ذلك أن الشباب الرافض للحزب الوطنى أنه رافض لليبرالية، ولكنه رافض لنخبة الحزب التى تتداخل فى بنيتها بعض الرموز التى اصبحت مرفوضة جماهيريا. فى ظل إعتقاد سائد بأن الأمور ساءت كثيراً بسبب

الوجود الدائم لهذه النخبة ولهذا الحزب فى السلطة. حيث إرتبط ذلك بالظروف التعسة التى تعيشها شرائح كبيرة من المواطنين، فى مقابل الفساد والإنحراف والإحتكار الذى إرتبط ببعض رموز هذا الحزب، إلى جانب دوام بعض رموز نخبتة فى السلطة لفترة طويلة لا يعلم نهايتها إلا الله.

بالإضافة إلى ذلك رفض جماعة الأخوان المسلمين ليس بسبب الدين ولكن بسبب ميلهم لإستخدام الدين فى السياسة من أجل الوصول إلى السلطة، يضاف إلى ذلك أن رفض جماعة الأخوان المسلمين من قبل شباب "الفيس بوك" يرجع بالأساس إلى المنظومة القيمية للشباب، التى تعد مرجعيتهم فى إدراك الأمور والحكم عليها. حيث نجد أن الشباب بحكم تكوينهم يميلون إلى التحرر وهم – بسبب الإختراق الثقافى – تم إستيعابهم لقيم الثقافة الليبرالية التى تفتح نوافذ التحرر نسبيا. خاصة شباب الطبقة العليا والشرائح العليا للطبقة المتوسطة، حيث ممارسة الدين بصورة معتدلة، يضاف إلى ذلك إنتشار نمط التدين البعيد عن السياسة بين الشباب. يضاف إلى ذلك إستيعاب الشباب لقيم الثقافة الإستهلاكية كنتيجة لثقافة العولمة، وقيم الإستهلاك لا تتسجم كثيراً مع القيم الدينية المتقشفة التى يدعو إليها الدين، يضاف إلى ذلك التشوية الإعلامى لجماعة الأخوان المسلمين، وكذلك التشوية السياسى لهم، يكفى أسم "الجماعة المحظورة" الذى أصبح رمزا لهذه الجماعة بدلاً من تعبير الأخوان المسلمين.

تناولت صفحات "الفيس بوك" أيضا التاكيد على رفض بعض الشخصيات السياسية وقبول أو تمجيد اخرى، مثال على ذلك تشكلت مجموعة على موقع "الفيس بوك" حول كراهية "إسرائيل وبوش"، كذلك أحد الزعماء العرب الذى يجب أن يذهب فى ظل شعار "يمكن فلان يغور لو وصل عدد المنضمين لهذه المجموعة إلى مائة ألف مشترك، غير انهم لم يستطيعوا تجميع سوى 330 صوتا فقط (62). وبطبيعة الحال فإن القيم العربية هى التى شكلت رفض هذه المجموعة لبوش، بإعتباره الرئيس التى هاجمت أمريكا فى عهده العراق، والذى تعامل مع العالم العربى بنوع من الصلف. وهو الذى دعم إسرائيل وحاول تفكيك لبنان، ووضع السودان على طريق التفكيك. أما رفضهم لإستمرار بعض الزعماء العرب فيرجع إلى أن الدوام لله وحدة، والإستمرار فى الحكم لمدة طويلة، فى عالم سنته الأساسية التغيير المتسارع يشير إلى تناقض وجودى واضح. وما دمنا

نتحدث عن الزعامات العربية فقد تشكلت جماعة "عمرو موسى" الذى يعتبره شباب "الفيس بوك" أحد السياسيين العرب الذين لهم مكانتهم الجماهيرية (63). ويبدو أن القيم التى شكلت مرجعية لوجهة النظر هذه تتصل بالبحث عن زعامة شامخة تقود المسيرة مثل زعامة الرئيس عبد الناصر فى فترة سابقة من التاريخ المصرى. هى قيم متعطشة إلى الكرامة والبطولة والقوة والرجولة، وهى قيم تستهوى سيكلوجية الشباب كثيراً.

ويبدو أن تصدى قوات الأمن للإحتجاجات والتظاهرات فى الشارع المصرى، خلقت فجوة بين الأمن والشعب، بخاصة الشباب الذين يشكلون فى الغالب جمهور هذه الإحتجاجات والتظاهرات. تأكيداً لذلك سجلت على حائط "الفيس بوك" صور لضباط شرطة ضربوا بالرصاص أحد مهربى المخدرات، ورجال الشرطة تظهرهم الصور يضحكون بينما المصاب ينزف دما. وبرغم أن المصاب تاجر مخدرات لا ينبغى أن يلقى تعاطف جماهيرى، إلا أنه بسبب الكراهية الشعبية وبخاصة الشبابية للأمن فإننا نجد أن التدوين على حائط "الفيس بوك" إتجه إتجاها مضاداً لرجال الأمن، والغريب أن تعاطف نسبيا مع تاجر المخدرات المصاب. حيث بلغت عدد التعليقات على الحائط نحو 122 تعليق، بينما بلغ عدد المشاهدات نحو 41170 ، تعليق يقول "مهرب مخدرات ويستاهل". وآخر يقول "الواحد مبسوط جداً بكل المشاهد دى لأنه إنشاء الله هتولع قريب، الناس خلاص جابت آخرها، هانت"، آخر يقول "الشرطة النازية"، تعليق آخر يقول "عدد المصريين حيقل بالطريقة دى، كل ضابط يقتلو 5 أو 6 ، أكيد دى فكرة نظيف فى تقليل عدد سكان مصر". وآخر يقول " حسبى الله ونعم الوكيل فى النازيين المصريين من أفراد الشرطة، وإنشاء الله هم حيكونو هم سبب خراب البلد" (64). ذلك بالإضافة إلى تعليقات قاسية وحادة تطول العديدين من نخبة النظام السياسى. ذلك تحرك الشباب برؤية رافضة للعنف، بخاصة ما يصدر عن رجال الأمن.

على هذه الخلفية يمكن فهم السلوكيات الإجتماعية التى إنطلقت من "الفيس بوك" لتحاول التأثير فى الواقع الإجتماعى، مثال على ذلك الدعوة لإضراب 6 إبريل. حيث تشير الكتابة على جدار الموقع إلى أن "أجواء مصر لم تمنع من بزوغ ملامح جيل جديد و "قوة ناشئة" صاعدة من الشباب جميعهم ينتمى إلى المرحلة الجامعية والثانوية أو هم حديثى التخرج أعلنوا "ميلاد وطن حر بأيدى شباب حر" فقد أكد عشرات الألاف من

الشباب المصرى فى رسائل جاءت على صفحاتهم تدعوهم إلى الإضراب. إذ يؤكد أحدهم" أنا قريت على النت وجتلى رسائل على الموبايل أن فيه إضراب عام يوم 6 إبريل للإعتراض على الغلاء المفرط والإرتفاع الجنونى فى الأسعار. من ناحية أخرى المرتبات والدخل مبيتحركوش ومفيش ربط مفهوم بين الإرتفاع الجنونى للأسعار ... وكأن الحكومة عايزانا نضرب دماغنا فى الحيط. عجبتنى الفكرة وفكرة أن أحنا يمكن ندعم الفكرة بإضراب عام عن الشراء، ونعمل إضراب عن شراء أى سلع فى اليوم ده، وياريت منكنش سلبيين ونشارك كلنا فى الإضراب بأى صورة من الصور... مفيش حاجة فى البلد ممكن تتغير وإحنا واقفين نتفرج ونمصمص شفايفنا ونقول حسبى الله ونعم الوكيل... ومش حنتغير لو عدد قليل هو بس إللى إعترض والباقى واقف يتفرج، لو مكنش سبعين مليون يقفو ضد حكومة فاسدة وظالمه ومرتشيه مفيش أى حاجة حتتغير، وساعتها إياك تقول أن الحكومة هى السبب فى إنك مش لاقى تاكل، لازم تعترف بأنك واقف تتفرج عليها وهى بتدبح فيك وفى أهلك وفينا كلنا، 6 إبريل إضراب عام للشعب المصرى.

وبالنسبة لهذا الجروب، وهو يعتبر الآن أقوى وأكبر وأنشط التجمعات الداعية للأضراب فقد تم الأتفاق حتى الآن على ما يلى:

1- الإجماع على تعليق علم مصر فى البلكونات.
2- الإجماع على إرتداء ملابس سوداء ويفضل مطبوع عليها أى شعار للإضراب، لو أمكن، مع كل شارة عن أنى هضرب إحتجاجا على الأسعار.
3- تم بالإجماع الإتفاق على الإضراب عن شراء أى سلعة تمثل وسيلة تهديد للحكومة التى لا تعيرنا أى إنتباه ولا تحترم وجودنا ولا تحس بمعاناتنا وكذلك الإضراب عن شراء السلع يعتبر تهديد لأى تاجر يرفع الأسعار (65).

ويعكس هذا الإقتباس طبيعة الشخصية الشابة التى تمتلك التعبير المباشر ورد الفعل العفوى لما هو موتر لهم بالواقع الإجتماعى، دونما إغراق فى تحليلات ذات طبيعة نظرية، يؤكد هذا الطابع العفوى أن اللغة المستخدمة هى اللغة العامية، وربما أقل من ذلك الموقفية والمباشرة بشكلها الخام، دونما تعديل أو تطوير للتفاعل مع الآخر. فإستخدام اللقب هو تعبير عن الذات بالأساس، ويبدو أن عصر إرتباط الشباب باللغة

العربية قد ولى وإلى غير رجعة، وذلك بإعتبار أن الشباب هم الشريحة الأكثر تعرضا للأختراق من قبل لغة وثقافة العولمة. كما يؤكد هذا الإقتباس تأثير الإعلام وتكنولوجيا المعلومات بنقله لصور الإحتجاجات من الخارج إلى الداخل، ومحاولة تقليدها بالتأكيد على الشارات والرموز، فى محاولة لتطوير هوية وثقافة فرعية لجماعة الإحتجاج.

2- القيم الإجتماعية لشباب الفيس بوك: بالإضافة إلى منظومة القيم التى وجهت التفاعلات والسلوكيات السياسية للشباب على صفحات "الفيس بوك" فإننا نهتم فى هذه الفقرة بإستعراض القيم الثقافية المحددة لتوجهات الشباب فيما يتعلق ببعض القضايا والسلوكيات الإجتماعية. على أنه من الضرورى ونحن نعرض لثقافة الشباب فى هذا المجال، أن ندرك ذلك فى ظل أربعة أبعاد أساسية. ويتمثل البعد الأول فى أن غالبية المشكلات أو القضايا التى طرحت على صفحات "الفيس بوك" ، ذات طبيعة شبابية بالأساس، فهى قضايا تشغل حيزا من تفكيرهم أو تسبب لهم معاناة فتوترهم. ومن ثم تصبح هى القضايا التى يتفاعل بشأنها. الشباب ليقدموا تصورات بشأنها. بينما يشير البعد الثانى إلى أن بعض هذه القضايا لا يتصل بثقافتنا، بل هى قضايا دفعت إلى فضائنا الثقافى والإجتماعى من خلال عملية الإختراق الثقافى. إستناداً إلى مضامين وآليات العولمة، التى تعمل على تصدير قضاياها المرتبطة بنوعية حياتها، لتؤسس تجانسا عالميا على أساس من عناصر ثقافتها وسمات نوعية حياتها. بينما يؤكد البعد الثالث على أن غالبية القضايا والمشكلات التى طور شباب "الفيس بوك" قيما وثقافة بشأنها تنتمى بالأساس للطبقة الوسطى والطبقة العليا، وهى التى تشكل الأطر الإجتماعية لشعب الفيس بوك من الشباب. إستناداً إلى ذلك فسوف نعرض لبعض القضايا التى شكلت نطاق حوار بين المشاركين من شباب "الفيس بوك".

أ- جماعة المطلقات: إستناداً إلى دراسات عديدة أجريت على ظاهرة الطلاق فى واقع المجتمع المصرى، فإن أسرة الطبقة المتوسطة والعليا بدأت تعانى من تهتك نسيجها الإجتماعى إلى حد الإنهيار. وهو الإنهيار الذى كان من نتيجتة أن لدينا حوالى سته ملايين مطلقة، وتحدث واقعة طلاق كل ستة دقائق. والذى كان من نتيجة إرتفاع معدلات أطفال الشوارع أو الذين يودعون فى دور التربية للأحداث (66). ونحن إذا تأملنا هذه المشكلة فسوف نجد أنها نتجت عن عوامل عديدة أبرزها الدعوات التى

إخترقت فضاءنا، وأكدت على حقوق المرأة دون أن توازن ذلك بحقوق الأسرة. فحقوق الإنسان ينبغى أن تتوازى مع حقوق الجماعة، يضاف إلى ذلك الوهن الأخلاقى والثقافى. بحيث يمكن القول بأن التفاعلات الحادثة فى واقعنا الإجتماعى، أصبحت موجهة فى غالبها بلا منظومات قيمية فعالة، من بينها ضعف القيم التى كانت تخلع نوعاً من القداسة على الأسرة. إلى جانب ذلك إنتشار القيم والروح الفردية، وهى المضادة للقيم والروح الجماعية. بحيث خلع ذلك عن الأسرة قداستها، وإقتربت من أن تكون وحدة قائمة على الشراكة، إستناداً إلى التزامات متبادلة دون وجود عواطف أسرية، أو وحدة أسرية تنتج عن إمتزاج وتفاعل عناصرها المكونة. نتيجة لذلك أصبح الطلاق سلوكا فرديا، وتراجع عن كونه عملية إجتماعية، حتى أن الأسرة بالنسبة لبعض الشباب لم تعد سكنا ولكنها تحولت إلى عبئ يمكن التخفف منه.

تشير الحقائق التى أشرنا إليها إلى بعض التفاعلات التى وردت على صفحات "الفيس بوك". فعنوان الجماعة "المطلقات" ويصل عدد المشاركين فى هذه الجماعة إلى 484 مشارك ومشاركة أبرز أعضاء الجماعة هم "سالى" و"أحمد". أطلقت الجماعة دعوة تشير إلى أن "لكل مطلقة تحب تتكلم وتشارك غيرها بتجربتها". فى إطار هذه الجماعة تبدأ المطلقات تتحدث عن التحرر من الروابط الأسرية، وعن عبئ المجتمع الذكورى، إضافة إلى التساؤل حول منطق الزواج نفسه. ولماذا يرتبط أثنان حتى الموت مع بعضهما فى إطار أسرة، حتى لو أدرك كل عيوب الآخر. السنا فى عالم متغير، وينبغى أن نتسق مع عالمنا، من الممكن أن يتحول المطلقين إلى أصدقاء، وإذا لم توفق المرأة فى زواج لماذا يستمر. لماذا لا تدخل زواج جديد، مهما كانت عدد مرات الطلاق وعدد مرات الزواج. يستحسن الطلاق قبل الإنجاب لذلك نصيحة لكل متزوجة أن تؤخر الإنجاب. فإذا تأملنا ما سبق وهو مسجل على صفحات هذه الجماعة، فإننا ندرك مساحة التخلى عن تراثنا الثقافى والدينى، والنظر إلى التفاعل والحياة الأسرية بنفس المنطق الغربى، الذى أشار إليه عالم الإجتماع فرنسيس فوكوياما فى مؤلفه "نهاية نظام" The End of Order (67).

ولا يتوقف الأمر عند التخلى عن المرجعية الدينية والتراثية فى النظر إلى الأسرة والطلاق، ولكننا نجد بعض التعليقات تنحدر فتسلم الجماعة إلى ساحة الإنحراف.

يتضح ذلك من بعض ما ننقله عن هذه الصفحات "دعوة لعقد حفلة جنس" ، "متزوجة وبدى كمان" و "فقط للراغبين والراغبات فى الزواج العرفى Orfy Marriage" و "فضائح الفنانين" و ""Hottest Egyptian Women of Face book و أخيراً "عايز صداقه، للصداقة: مطلوب فتاة على قدر من الجمال مقبولة من الثقافة.. تقبل المشاركة فى السكن فى المنزل بدون زواج... تكون من مصر أو ليس لديها مشكلة فى أن ...." (68). لم يلاحظ على صفحات هذه الجماعة أى أدانه للطلاق، أو حزن على العلاقات التى إنهارت، ولا تعليق يشير إلى أن أبغض الحلال عند الله الطلاق. إذ لم تعد منظوماتنا القيمية الثقافية الدينية الواقعية هى المرجعية التى ينظر من خلالها شباب "الفيس بوك" إلى الطلاق، بل تسللت وإخترت القيم الغربية لكى تصبح هى المرجعية بالأساس.

ب- جماعة "عوانس من أجل التغيير": من الجماعات التى لها صفحاتها على موقع "الفيس بوك" وتدور حول الفتاة العانس التى تأخر سن زواجها ولم تتزوج بعد. فهى وهى قد أصبحت مشكلة إجتماعية زاد من حدتها مشكلة البطالة التى فرضت على شريحة من الإناث البقاء فى المنزل، يضاف إلى ذلك أن الظروف الإقتصادية الصعبة، إضافة إلى الأعباء التى يفرضها تشكيل الأسرة، جميعها دفعت إلى إنخفاض معدلات الزواج وتأخر سن الزواج. تذهب "سالى" التى أنشأت هذ الموقع وعمرها 27 عاما قائلة "إننا كفتيات لا نريد ان نتزوج من اجل نيل لقب متزوجة فقط... ليست العنوسة شبحا يطارد الفتيات فى أحلامهن ويقظتهن، فيلقين بأنفسهن فى تهلكة زيجة غير متوافقة ليستبدلن لقب عانس بمطلقة". يعتقد البعض أنى أناشد العوانس فقط، ولكننى اسست حركة إجتماعية لا تجمع العوانس فحسب، بل تضم كل المؤمنين بضرورة رفع الظلم الواقع على الفتاة التى تأخر زواجها، لنحول معا صورة العانس من تلك الصورة الخاطئة، التى تحصرها فى تلك الفتاة الحاقدة إلى فتاة ناجحة، قادرة على إعمار الأرض، ليس من خلال الزواج فحسب ولكن بالإمكانيات التى منحها إياها الله" (68). وحول إنتشار الحركة أشارت مؤسسة الجماعة "أن لقب عانس جزء من ثقافتنا، وهى مرتبطة بأنه يجب أن تتزوج المرأة. من الأشياء التى أسعدتنى جداً أن بنات إتصلن بى من "ماليزيا" وقالوا لى إنهم يعانون من نفس المشكلة. ومن أسبانيا طلبت منى فتاة نفس الفكرة لتنشئها

بالأسبانية، كل ذلك يؤكد أن العنوسة مشكلة ثقافية فى العالم أجمع وليست مشكلة ثقافية فى المجتمع العربى فقط (69).

فإذا تأملنا منظومة القيم الموجهة لآداء هذه المجموعة فسوف نجد تآكلا فى قيمة الحياة السرية، يكفى نجاح الفتاة فى حياتها وعملها. ثم هجوما على المجتمع الذكورى، لكونه المجتمع الذى شكل مرجعية مفهوم العنوسة بمعناه السلبى، وإن الفتاة يمكن أن تكون عضواً مفيداً فى المجتمع من غير أن تكون بالضرورة زوجة. وهو ما يعنى مرة اخرى تفكيك منظومة القيم الأسرية المستندة إلى الدين والتراث إلى درجة تفضيل العنوسة على الزواج من ناحية، وتفضيلة على الطلاق من ناحية أخرى.

ج- "جماعة مخدرات" : أصبحت المخدرات مشكلة إجتماعية تواجه مختلف المجتمعات لإنتشارها بين السكان وبخاصة الشباب. وبسبب المعاناة المفروضة على مختلف الشرائح الإجتماعية وأبرزها الشباب، إضافة إلى زيادة المنتج العالمى للمخدرات، إلى جانب أن المخدرات المعاصرة، والموجودة بوفرة – تؤدى عادة إلى الإدمان. يضاف إلى ذلك أننا إذا تأملنا المواد المخدرة فى الزمان الحاضر فإننا نجد أن إنتشارها بدأ يتجه إلى أسفل، حيث بدأ ينتشر بين الصغار فى المرحلة الثانوية، وربما الإعدادية. من المدهش أن نجد جماعة على صفحات"الفيس بوك" تدعو إلى تعاطى المخدرات وتشجع عليها، وإن كان عدد المشاركين فيها لا يتجاوز 160 عضو فقط، النشر على صفحاتهم يتم باللغة الإنجليزية، وربما، المشاركين من خلفية طبقية بعينها. صفحات هذه الجماعة تحت شعار "عاشقى المخدرات" ثم عبارة "كل الناس يحبون المخدرات ونحن نريد لكل المصريين أن يدخنوا المخدرات كخطوه نحو الإدمان" و "فى مصر خمسون مليونا من المدمنين" (70). وبرغم أن الأرقام التى يشيرون إليها ليست صحيحة، غير أنهم كجماعة فرعية لها ثقافة تأمل فى نشر التعاطى والإدمان والثقافة المرتبطة بهما، حتى يشكل الإقتناع بهذه الثقافة وممارسات التعاطى تأسيس نوع من الأمان المعنوى والثقافى للجماعة.

د- "جماعة لمكافحة الإدمان": توجهات هذه الجماعة تتناقض مع توجهات الجماعة السابقة، تعمل فى ظل شعار "توقف عن تعاطى المخدرات، وغير حياتك". تذهب هذه الجماعة إلى أن عدد متعاطى المخدرات فى العالم العربى يصل إلى عشرة ملايين

متعاطى، وأن مصر بها وحدها حوالى أربعة ملايين. هذا ما تقوله الإحصاءات، وإن كان الواقع يشهد أضعاف هذا العدد. ومن المتوقع أن يتزايد هذا العدد بسبب إنخفاض أسعار المخدرات وزيادة معدلات البطالة والأحباط بين الشباب. وقد إرتبط بذلك نموا متصاعداً للجرائم الكبيرة "كالإغتصاب والقتل" أو الجرائم الصغيرة كالسرقة إضافة إلى المشاحنات والحوادث العائلية بسبب تعاطى الأب والأبن للمخدرات، والتى تزايدت بحيث أصبحت مهددة للأمن الإجتماعى للعالم العربى. وإلى جانب أن التعاطى يتزايد بين الذكور إلا أنه ينتشر أيضا بين الإناث، وهو الإنتشار الذى سوف يؤدى إلى إنتشار الجرائم الأخلاقية فى المجتمع. وبرغم أن هناك سياسات وجهود لعلاج المتعاطين والمدمنين، إلا أنه عدد ما تم علاجهم فى السنوات الثلاث الأخيرة لم يتجاوز أربعة ألالف سنويا بالإضافة إلى أن تعاطى المخدرات بدأ ينتشر بين المساجين فى السجون، وفى حالة غياب إجراءات لعلاجهم فإنهم سوف يشكلون خطورة كبيرة فى المستقبل.

ويشير وجود الجماعتين المتناقضتين على نفس الموقع إلى مسألتين، الأولى أن كلا الجماعتين لهما وجودهما الواقعى، وأن الإنطلاق إلى المجتمع الإفتراضى من خلال موقع "الفيس بوك" والمواقع الأخرى يشهد على أن كلا الجماعتين تسعى، إلى توسيع نطاق المشاركين فيها، حتى تضمن فعاليتها. والثانية أن الثقافة العامة للمجتمع، تتضمن عادة عناصر متناقضة، فبعض العناصر تؤيد التعاطى بإعتبار أن له عوائد وفوائد بالنسبة للمتعاطين، لذلك إستمر تعاطيهم، بل ونلاحظ إتساع مساحته، ذلك فى مقابل ثقافة مناظرة ترفض التعاطى وتوضح مخاطرة.

د- "جماعات علاقات جنسية" : فى بعض الأحيان يستخدم موقع "الفيس بوك" بشكل سئ ووفقا لدوافع إستغلالية غير بريئة، تؤدى إلى إنتشار الفضائح وتساعد على التحرش الجنسى. وإرتفاع معدل حدوث الجريمة والتورط فى أعمال منافية للآداب، ضد الدين والقيم والمبادئ. إذ توجد على مواقع "الفيس بوك" مجموعات تروج للدعارة والشذوذ الجنسى (71). وتشير إحدى الدراسات إلى أن هناك مواقع على "الفيس بوك" يرتادها حوالى ثلاثة ملايين عربى حيث الدردشة الحرة مع الجنس الآخر. من بينها غرف أصبح يرتادها 22% من العرب وهى غرف تخص الجنسيين المثليين، للحديث الحر عن المثلية الجنسية وتبادل الخبرات والعناوين وأرقام الهاتف (72). يردد هؤلاء نفس

المنطق الغربى فيما يتعلق بالجنس، حيث ينبغى إشباع الجنس حسبما يرغب الفرد بإعتباره غريزة فردية، وذلك حتى لا يؤدى كبته إلى تعطيل آداء الإنسان فى مجالات الحياة الأخرى، إبتداء من الجنس خارج الشرعية إلى الجنس الشاذ (73).

على صفحات "جماعة علاقات جنسية" فى موقع "الفيس بوك" والتى تضم 259 عضوا نجد إعلانا يقول "الجروب ده ياجماعة هيكون مركز إلتقاء للعلاقات والتظبيطات الجادة. أى ولد أو بنت... يابنات بلاش الحركات الأرعة بتاعتكم وكروت الشحن والإشتغالات دى... والولاد اللى عايزين يهزروا ويتسلو وبس مالهمش مكان هيتحذفو على طول من الجروب. يا جماعة لو سمحتم أى مخالفة للكلام ده إبعتولى تفاصيل المخالفة على طول علشان أعمل ريموف للمخالف، عاوز مشاركات متميزة للجروب ده فى صور سكس وفيديو بورنو وقصص النصب على الساذجين اللى بيصدقوا إشتغالات النت على الديسكشن بورد وأراء على الجروب ... وحنعطى للمشارك المتميز فرصة أنه يكون أوفيسر للجروب" (74). ذلك بالإضافة إلى وجود مجموعة من الإعلانات عن الجنس، أقل ما فيها انها تخدش الحياء العام. ومن الواضح أن هذه الجماعة تعبر عن قمة الإختراق الثقافى لفضائنا الثقافى. حيث ضخ منظومة من القيم العربية على تراثنا، وإذا البعض من ناحية يروج لضرورة تعلم ثقافة الجنس حتى يكون الشباب على وعى. فإن تشكل هذه الجماعة وما يناظرها فى مواقع أخرى، يعنى فرض ثقافة جنسية منحرفة فى منظوماتنا الثقافية، تلعب دورها معززة بالغريزة فى تفكيك ثقافتنا المستندة إلى الدين والتراث. وعلى هذا النحو نجد أن موقع "الفيس بوك" والمواقع الإفتراضية الأخرى تؤسس ثقافة الجنس على ساحتنا لتفرخ كى تقضى على ما هو نبيل ومثالى.

هـ- جماعة حموات من أجل التغيير": تناقش هذه الجماعى على صفحات "الفيس بوك" طبيعة العلاقة بين الحموات، وأزواج البنات أو زوجات الأبناء، فى محاولة لتغيير الصورة النمطية لهذه العلاقة. والتى تطلق عليها النكات والأمثلة الشعبية فى كل من الثقافة الشرقية والغربية على السواء. وفى ظل هذه الجماعة ظهرت جماعات أخرى مثل "بكره حماتى" و "حماتى قنبلة ذرية" و "رضاكى يا حماتى" و "الحموات الفاتنات". وقد أجريت دراسة على شبكة "الفيس بوك" للتعرف على رأى روادها الذين بلغوا 2618 زائرا فى الفترة من 18-25 يونيو 2008 أن أقلية محدودة رأت أن الحموات يسببون

التوتر داخل البيت وهن سبب المشاكل الأسرية بنسبة 29.83%. وأن نسبة 65.01% من الذين أجرى عليهم الإستطلاع رأوا أن الحماة فى البيت هى سبب الدفئ العائلى. بينما أعتبر 16.1% من المشاركين فى الإستطلاع أن حمواتهم سبب لرعبهم. ويبرز الموقع عناوين متناقضة ناتجه عن تجارب ذاتية وشخصية فيما يتعلق بالحموات، بعضها يصف الحماة بصفات سلبية مثل "حماتى ها تجننى" و "كابوس يقض مضجعى، وحماتى من بعيد لبعيد" و "حماتى متسلطة وأنانية" و" حماتى سبب همى فى الدنيا" وغير ذلك من الصفحات السلبية. ذلك فى مقابل صفحات إيجابية مثل "يارب السماوات إحفظ الحموات" و" حماتى وأنا بالذات" ، "أمى التى لم تلدنى" و "حماتى أمى الثانية" (75). فى هذا الإطار تنسحب تناقضات الثقافة العامة من الواقع لتشكل ثقافة الواقع الإفتراضى، حيث نجد أن منظومة القيم المتعلقة بالحماة منقسمة على نفسها إن إيجابا أو سلبا. وهو إنقسام لا يقتصر على الثقافات الشرقية فقط، ولكنها ثقافية عالمية أشار إليها العالم الإنثروبولوجيا الشهير راد كليف براون (76).

3- الدين وحوار الثقافة على صفحات "الفيس بوك": شغل الدين مساحة واسعة فى موقع "الفيس بوك" وفى المجتمع الإفتراضى عموما، ذلك لأن الحوارات على "الفيس بوك" تكون محررة من أية قيود يفرضها المجتمع. بل يصل الأمر أحيانا إلى أن المشارك فى إمكانه أن يتنكر تحت أسماء مستعارة حتى يطلق العنان حراً فيما يتعلق بأفكاره المتعلقة بالدين. فى هذا الإطار تنوعت الجماعات المهتمة بالشأن الدين أحيانا تكون معتدلة متسامحة فتأتى إلى منطقة الوسط، وأحيانا تتطرف إلى اليمين فتعبر عن ظواهر مرضية متطرفة، وتتطرف إلى اليسار فتبرز هجوما لا هوادة فيه على الدين. الحوارات تتنوع تارة حول "الدين الصحيح" بين المسلمين والمسيحيين وتارة أخرى حول "الإسلام الصحيح" بين السنة والشيعة (77). بالإضافة إلى ذلك فقد إستخدم موقع "الفيس بوك" لفرض إثارة الفتنة بين الأديان (78). فى هذا الإطار توجد مواقع عديدة منها موقع "الشباب المسلم يغير العالم" والذى وصل عدد أعضائه إلى تسعة آلاف شاب. وكذلك "مجموعات الدفاع عن الرسول صلى الله عليه وسلم" أو "الدين الإسلامى فى مواجهة الهجوم عليه" أو مجموعة "الدعوة لعمل الخير" و "مجموعة الحفاظ على الصلاة" و "حفظ القرآن" (79). من المواقع المتطرفة على الصعيد الإسلامى موقع

"الصارم الحاسم" الذى يرى أن تجاوز ثوابت الدين يشكل "جراة على الله" ويذهب صاحب هذا الموقع إلى "أن الإيمان بالغيب هو أساس الدين، والفهم يأتى لاحقا، فهناك أشياء ربما لا نكشف حكمتها على الفور، ويحتاج منا الأمر للإمتثال والتسليم والرجوع لفهم السلف الصالح والعلماء الثقات، لنكتشف الحكمة الالهية فى العديد من الأمور بدلاً من التشكيك فى ثوابت الدين(80).

إتصالا بذلك حينما تعرض نبى الإسلام محمد عليه الصلاة والسلام للهجوم من بعض الأقلام الأوربية، تشكلت جماعة "لمناهضة التهكم على الرسول صلى الله عليه وسلم" شعارها "حملة جميع المسلمين لمناصرة خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم" تدعو إلى تفنيد الأفكار التى قيلت بحق الرسول. ثم تقدم حصراً بعدد الشركات الدنمركية والنرويجية التى ينبغى مقاطعتها، تحت عنوان "قاطع هذه الشركات"، ثم يورد شعارات وأسماء سبع وعشرون شركة ينبغى مقاطعتها (81). وقد يشتد الحماس بهذه الجماعة أحيانا لأن تسقط فى نوع من الشوفينية الدينية، التى تؤذى مشاعر بعض أصحاب الأديان الأخرى.

بالإضافة إلى ذلك قامت حوارات حول الحجاب على موقع "الفيس بوك" حيث تشكلت مجموعة "إخلعى الحجاب الآن" حيث نجد أن معظم المشتركين فى هذا الموقع يحاربون الحجاب. وبرغم أن هذه الجماعة ليست الوحيدة إلا أنها الأكثر نشاطا، حيث ترد فى صفحاتها الرئيسية أقوال قاسية تستنفر مشاعر الكثيرين. مثل قولهم "سنحرق حجابنا فى ميدان التحرير.. سنتحرر من رمز التخلف" ، "مصر وصلت لحالة منحطة من أدعياء التدين والكلام مبقاش نافع .. إحنا عايزين واحد زى أتاتورك... يرجعنا بنى أدمين بالعافية". "غادرت الفاطمية مصر تاركة خلفها الكنافة فى الصوانى. وسوف تغادر الوهابية مصر تاركة خلفها الكنافة فى العقول"، "سنحارب قوى الظلام حتى النهاية" (82). ويتوالى الهجوم على الحجاب حتى التجرؤ على الدين ذاته والرسول، أقلها أن "الرسول ليس من العرب" (83).

وقد كان من الطبيعى أن تظهر مجموعات مناهضة لهذه المجموعة منها على سبيل المثال مجموعة "دعوة لأغلاق جروب: إخلعى حجابك الان" أو جماعة "معا ضد جروب إخلعى حجابك الآن" ومجموعة "الرجوع إلى الحجاب ردا على مجموعة إخلعى

حجابك الآن". وقد حاولت هذه المجموعات الدفاع عن الحجاب بتقديم الآدلة العقلية والنقلية على الحجاب، وتتولى أحدى العضوات المدافعة عن الحجاب قائلة "أن الأفضل لمواجهة أعداء الحجاب هو التحدث عن الحجاب عامة والرد على الشبهات" (84). وقد توصل البعض فى مجموعة "دعوة للرجوع إلى الحجاب ردا على إخواننا الغافلين فى مجموعة "إخلعى حجابك الآن" إلى أن الحل الوحيد والفعال هو التجاهل التام لهم، فهو الأكثر إثارة للجنون فتقول أحدهم "أرى أنه من الأفضل ترك الجدال معهم، لأنهم أشخاص جبلوا على محاربة الإسلام، مهما إدعوا ووظفوا عقولهم فى مهاجمة شرع الله الذى إرتضاه لنا" وهدفهم إنكار كل ما هو إسلامى ولذا لجئوا إلى أساليب رخيصة" (85). وترى أخرى " الجروب ده لازم يتقفل عشان الكفار اللى مشتركين فيه يعرفوا أن المسلمين قوة" (86). ويقول ثالث "يا جماعة إنتم مكبرين الموضوع، ده حته جروب تافة ما فيهوش 500 عضو، شوية ناس تافهين". ويرد الطرف المحارب للحجاب فيقول "نحن أقل من 500 عضو وأنتم أكثر من 32 ألف عضو ومع ذلك إنتم فى رعب شديد من صوتنا. لدرجة أن أملكم الوحيد فى الحياة، وهدفكم الأقصى هو إغلاق موقعنا، أليس هذا دليل دامغ على فشلكم وضيق أفقكم وعلى ضعف حجتكم؟ يالكم من منافقين ودراويش مخابيل، لا يتشرف بكم أى دين وأى نبى" (87).

جماعة أخرى تتعلق بالدين ويدور الحوار فيها حول البهائية هذه المرة، حيث ثار بشأنها جدل ولغط فى نطاق المجتمع الواقعى، إنتقل بدوره إلى المجتمع الإفتراضى. حيث يقول أحد البهائيين صاحب الموقع على "الفيس بوك" "بهائى مصرى" ويشير إلى أنه كان السبب فى التحسن النسبى فى النظرة لأبناء الديانة البهائية، منذ أثارة قضية حقهم فى إثبات ديانتهم فى البطاقة الشخصية. ويقول أن "الفيس بوك" كان عاملاً هاما فى إنفتاح غير مسبوق على البهائيين، لم يحدث فى باقى وسائل الإعلام، فقد أعطى الفرصة للبهائيين أنفسهم لعرض مشالكهم وقضاياهم بشكل واضح، دون أى مزايدات إعلامية. وأعطى المجال للبهائيين للرد على المعلومات المغلوطة المنشرة عن الدين البهائى. وأتاح لناشطى حقوق الإنسان والمدونين المتضامنين معهم، الفرصة لعرض وجهة نظر مخالفة للمألوف عن قضية البهائيين المدنية، وأيضا الجانب الدينى منها، كما أن ظهور مدونين بهائيين أعطى للأمر بعداً إنسانيا بدلا من صورة القضية المجردة"

(88). على خلاف ذلك نجد صفحة "الصارم الحاسم" على "الفيس بوك" ومعه آخرون يثير جدلا وحواراً حول حقوق البهائيين. رافضين الحقوق "بدعوى أن الدين البهائى دين وضعى لا يحق للإسلام ولا يمكن الإعتراف به" لأن الإسلام هو الدين الخاتم(89). ويستمر الجدل والحوار، كأنما هو حوار الطرشان دون الوصول إلى قناعات أو حلول وسط، ربما لأن العقائد ليس بها حل وسط.

الفتنة الطائفية بين المسلمين والأقباط نالت مساحة واضحة على صفحات "الفيس بوك"، حدث فى أعقاب إتهام كنيسة محرم بك فى الإسكندرية بعرض مسرحية رآها البعض مسيئة للإسلام. وبسبب ذلك حدث إحتقان وتأجج للمشاعر وإحتجاج وتظاهر دفع بعض المسلمين والمسحيين لتشكيل مجموعة بأسم "معا أمام الله – مصارحة ومصالحة"، كان هدفها تجاوز حالة التوتر الطائفى. تؤكد "ماريان ناجى حنا" المنسق العام للمبادرة "التعارف بين العقول ثم أولا على الإنترنت"، وبالتدريج ومع النقاش المستمر إكتشفنا إمكانية الحركة على الأرض. ولكن حتى بعد إطلاق المبادرة ظل الإنترنت الوسيلة الأهم والأفضل للتواصل والمناقشة، بسبب ضيق الوقت والالتزامات"، لقد كان الحوار والإنصات إلى الآخر هو أساس المبادرة وهو ما تؤكد "ماريان" أنه غير موجود فى الواقع الحقيقى، لذلك كان من الضرورى أن يبدأ من الإنترنت... الذى ساهم فى وجود حوار حقيقى بين الناس من الأغلبية والأقلية على السواء، صحيح أنه أحيانا ما ينتهى إلى معارك وخطاب كراهية، ولكن على الأقل أصبح هناك حاعد لقد قطع الإنترنت المسافة الفاصلة بين المتخاصمين، ووضع الناس فى مواجهة بعضهم البعض (90). وهو ما يعنى أن صوت العقل كان على صفحات "الفيس بوك" بينما صوت الإنفعال والعاطفة كان على أرض الواقع.

4- ثقافة الترفيه على صفحات "الفيس بوك" : الحوارات ليست جادة دائماً، وليست عقلانية بصورة مستمرة، ولكن تتخللها بعض جوانب الترفية. حيث يتفاعل الإنسان بلا روح جادة. يحدث ذلك كثيرا على أرض الواقع، كما يحدث إنعكاساً لذلك على صفحات "الفيس بوك" فى المجتمع الإفتراضى. فى الواقع تؤدى النكتة وظيفة تصريف التوتر، وتجديد ذات الفرد أو الجماعة، وفى نفس الوقت تنقل إلى ساحة المتفاعلين مضامين يناقشونها مع ذواتهم، مع طرحها فى إطار جماعة يؤكد طبيعتها. على هذا النحو

تشكلت على جماعات "الفيس بوك" جماعات تعكس الروح الشبابية التى لا تأخذ الأمر بجدية فى بعض جوانبها.

إرتباطا بذلك وجدت جماعات على موقع "الفيس بوك" تعبر عن إعجابها بالفنانين، من ذلك نجد "رابطة محبى احمد منيب ومحمد منير" و" محبى فيروز" و" محبى صلاح جاهين" وطبعا "محبى نجم الجيل" الذى يثير كعادته الكثير من الجدل، حيث تشكلت جماعة مضادة لمحبى "نجم الجيل" الذى تراه المكروه الأكبر، فهو مثال سئ للشباب كما يراه صاحب مجموعة "لو الجروب دا وصل عشر تلاف هنرجع"..."السجن" وهو الجروب الذى وصل أعضاؤه إلى 17.157 مشارك. وهو العدد الذى فاق توقعات صاحب الفكرة الذى أعلن بمجرد تخطى عدد الأعضاء الرقم الذى حددة أنه ليس لديه طريق لإرجاع الفنان "..." الذى خرج من السجن العسكرى ليعيده إليه مرة أخرى، ولكنه أراد فقط أن يقيس مدى كراهية أبناء الجيل لمن أطلق عليه نجم الجيل (91). يضاف إلى ذلك خطابات جماعة على موقع "الفيس بوك" تسمى مجموعة "توسيع بنطلونات البنات". وتناقش هذه المجموعة نقديا الملابس الضيقة التى تلبثها الإناث، يوضح أعضاء الجماعة أن ذلك مخالف للدين ومخالف للأخلاق والتقاليد فى مجتمعنا. كما أنه يعتبر دعوة صريحة للتحرش والإعتداءات التى تقع على الإناث فى الشارع. فى مقابل ذلك نجد مجموعة بعنوان "مع إحترام حرية الإناث" تقدم دعوات مضادة بأن الملبس مسألة شخصية بحته، ومن حق الفتاة أن تلبس ما تريد. وكفانا تاريخ من الحجر والكبت والقهر للمرأة، وهو الحجر الذى سبب التخلف الذى نحن فيه.

ذلك يعنى أن صفحات موقع "الفيس بوك" ضمت حوارات متنوعة، تعكس من ناحية الجوانب المختلفة للشخصية الشابة بالأساس، تلك التى تنتمى لأعلى شرائح الطبقة الوسطى إضافة إلى الطبقة العليا، وهى الفئات التى إنفتحت على العالم الخارجى بكثافة عالية من خلال الإعلام وتكنولوجيا المعلومات. والتى عانت من صدمة الإنفتاح الشامل فتشرذمت، بعضها ذهب إلى أقصى اليمين فتبنى مواقف محافظة ومتزمتة أو أطبح به إلى أقصى اليسار، فأعلن شعارات التحرر من ثقافات الوطن وفتح باب الإختراق على مصراعية. كما تعكس من ناحية أخرى تنوعات التفاعلات الإيجابية

والسلبية التى تحدث على أرض الواقع، والتى تسللت بطبيعتها وثقافتها المنظمة والضابطة إلى ساحة المجتمع الإفتراضى من خلال شخصية أعضائه المشاركين.

المراجـع

1. ثقافة الفيس بوك http://www.asyeh.com/computer.ohp .
2. نرمين زكريا خضر، الأثار النفسية والإجتماعية لإستخدام الشباب المصرى لمواقع الشبكات الإجتماعية، دراسة على موقع الفيس بوك Face Book ، المؤتمر العلمى "الأسرة والإعلام وتحديات العصر" كلية الإعلام، جامعة القاهرة، 15-17 فبراير 2009، ص 23.
3. قصة الفيس بوك http://forum.resala.org/showthread.php .
4. دانا بويد، الشباب، مواقع الإنترنت الإجتماعية، دور شبكة الإنترنت فى الحياة الإجتماعية للمراهقين، ترجمة مصطفى محمود، الهيئة العامة لقصور الثقافة، الثقافة الرقمية (1) وزارة الثقافة، ص 8.
5. ثقافة الفيس بوك، مرجع سابق.
6. حنان فاروق، الفيس بوك يؤجج الحس السياسى لدى الشباب http://www.middle-east-onlima.com/?id=62946=62946&Format=0
7.